

الخوارج وصفاتهم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه مجاناً مع المحافظة على نص المؤلف

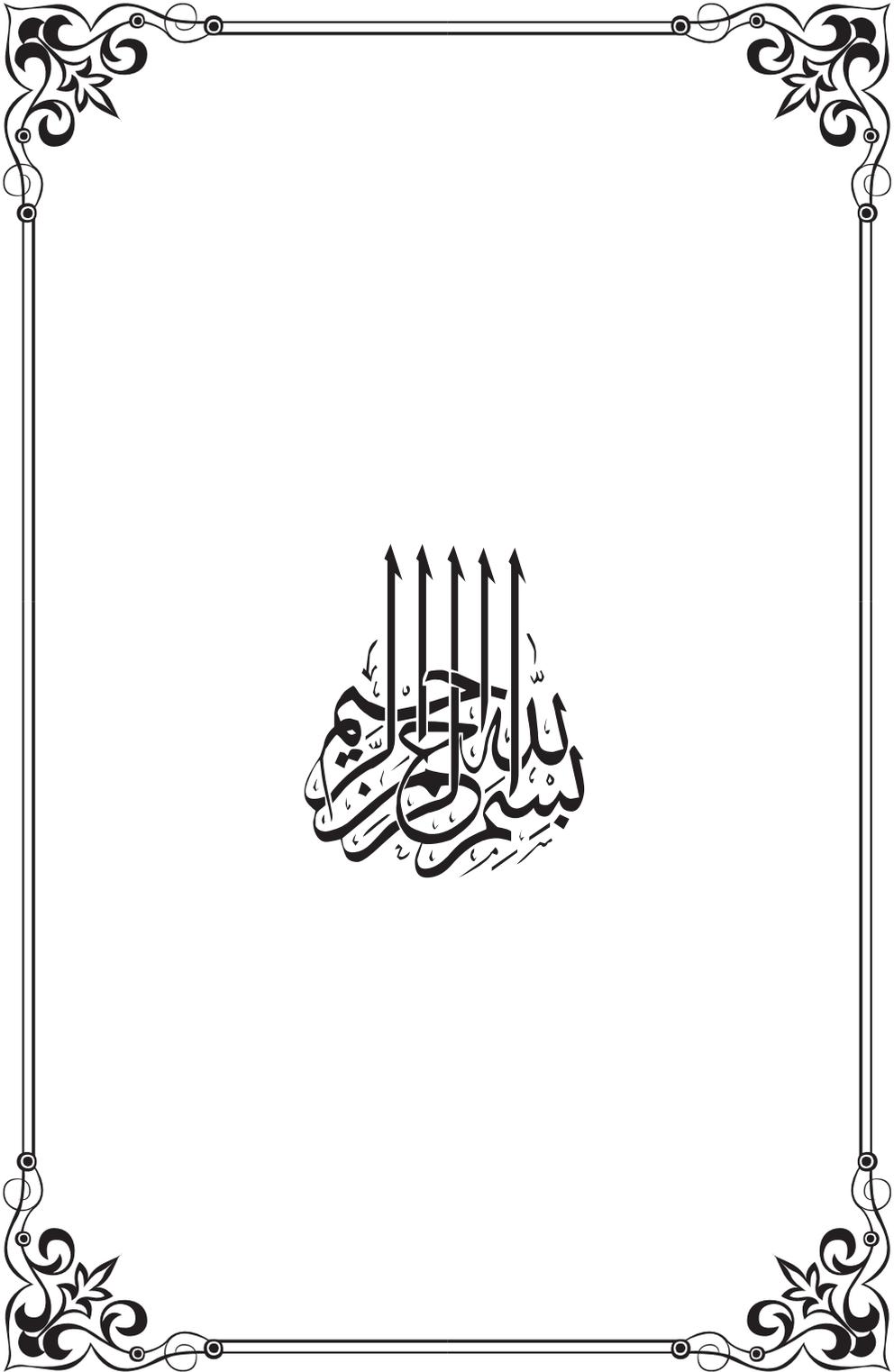
ben.gheith@gmail.com

الطبعة الرابعة

الخوارج وصفاتهم

تأليف الدكتور

محمد غيث عيث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي يمن على من يشاء بهدايته، ويصطفى من يختاره بقدرته،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته وألوهيته، وأشهد
أن محمدا عبد الله ومجتبا برسالته، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وصحابته.

أما بعد:

فإن أعظم ما تعاني منه المجتمعات الإسلامية في عصورها المتأخرة، انتشار
المذاهب الفكرية المنحرفة، وفشو الشبهات الخارجية المتطرفة، وتزيين الفتن
بالشعارات الزائفة، وابتعاد الناشئة عن أهل العلم والحكمة، ولأصحاب المناهج
المضلة في ذلك تأثير وحيل وأساليب، يُسقطون بها منزلة العلماء، ويُلهبون بها
حماسة الأغرار والسفهاء، ويجرونهم إلى الفتن خطوة خطوة، ويترققون بهم في
سلالم السرية والحزبية درجة درجة، ويُعمونهم بأخذ البيعة والطاعة العميَّة،
في بعد عن السنة وتأصيلها، وتَنقُل بين الشُّبه وتلبسها، حتى ينغمس التابع في
الأهواء بلا تفكير، ويلتقم ثدي التكفير بلا نكير، فلا يرى مُسلما إلا هو وحزبه،
ويخيّل إليه أنه سيصير حرا بالخروج عن الطاعة، وشجاعا بالتهور والحماسة،
فيبدأ في مزاحمة السلطان في رئاسته، ويُقبَّح عند العامة جميل سيرته، وهذا
آخر الطبخات، وقد سبقتها أمور وتدابير غفل عنها أهل الشأن، وأحسنوا فيها
الظن، وكان الواجب أن يُقلع الشر من أوله، ويُمات الباطل في مهده، إذ الشر

وأهله لا يُتساهل معه، لأن التساهل معناه: تساهل في الدماء، وجر للفتن والبلاء، والواجب قلع الجذور، بحزم ولاة الأمور، وتحصين المجتمعات بنشر العلم والسنة ورد الشبهات، وإلا كان العلاج كتقليم فروع الشجرة، فيقوى الساق، وتتجدد الأوراق.

وأخطر المذاهب المنحرفة، مذاهب الخوارج المُكفِّرة، عُرة هذه الأمة، وأصل كل فتنة، وقد كان السلف والأئمة إذا ظهرت بوادر فتنة الخوارج، نشروا العلم والسنة، وحذروا الأمة، وقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج، وتوعدهم بالاستئصال، ولا شك أن التحذير من شرهم، وبيان عوارهم؛ من باب أولى وأوجب: قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَمَّا شَاعَ فِي الْأُمَّةِ أَمْرُ الْخَوَارِجِ؛ تَكَلَّمْتُ الصَّحَابَةَ فِيهِمْ، وَرَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَحَادِيثَ فِيهِمْ، وَبَيَّنُّوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ فِي الْعَامَّةِ»^(١).

أي بانت بدعتهم لعامة الناس، وعرفوهم.

وكان السلف رحمهم الله تعالى يتناصحون، ويحذرون بعضهم بعضاً من الخوارج:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: «قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ عِنْدَ الْوَدَاعِ أَوْصِنِي: فَقَالَ: كَانَ مِنْ رَأْيِي أَنْ أَفْعَلَهُ وَلَوْ لَمْ تَقُلْ، إِنَّكَ أَطْرَيْتَ عِنْدِي رَجُلًا كَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى الْأُمَّةِ، فَقُلْتُ: أَفَلَا نَصَحْتَنِي قَالَ: كَانَ مِنْ رَأْيِي أَنْ أَفْعَلَهُ»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٧/٤٨٣).

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد ح (٢٥٠).

وهذه الرسالة إنما هي مشاركة في هذا الباب، ونصيحة وتحذير من الشر، ونشر ودلالة على السنة وآثار العلماء والأئمة، وأسأل الله تعالى التوفيق والرشاد، والعون والسادد، وأن يجعلها مفتاحاً لهداية من تأثر بشبه القوم، وتحصينا لكل مسترشد يريد الخير، والله المستعان، وهو حسبنا وعليه التكلان.

من هم الخوارج؟

الخوارج: هم من خرج عن السنة والجماعة، ومرق من الدين بالمفارقة.

قال ابن كثير رحمته الله: «سُمُّوا خَوَارِجَ؛ لِخُرُوجِهِمْ عَلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ وَالْفِيَامِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ»^(١).

وقال ابن حجر رحمته الله: «أَمَّا الْخَوَارِجُ: فَهُمْ جَمْعُ خَارِجَةٍ، أَيُّ طَائِفَةٍ، وَهُمْ قَوْمٌ مُبْتَدِعُونَ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِخُرُوجِهِمْ عَنِ الدِّينِ، وَخُرُوجِهِمْ عَلَى خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

وقال الشهرستاني رحمته الله: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»^(٣).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «هُمْ قَوْمٌ اسْتَحَلُّوا بِمَا تَأَوَّلُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَرُوا بِهِمْ بِالدُّنُوبِ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمُ السَّيْفَ، وَخَالَفُوا جَمَاعَتَهُمْ،

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٠٩).

(٢) فتح الباري (١٢/٢٨٣).

(٣) الملل والنحل (١/١١٤).

فَأَوْجِبُوا الصَّلَاةَ عَلَى الْحَائِضِ، وَلَمْ يَرَوْا عَلَى الزَّانِي الْمُحْصَنِ الرَّجْمَ، وَلَمْ يُوجِبُوا عَلَيْهِ إِلَّا الْحَدَّ مِائَةً، وَلَمْ يُطَهِّرْهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ إِلَّا الْمَاءَ الْجَارِي، أَوْ الْكَثِيرُ الْمُسْتَبْحَرُ، إِلَى أَشْيَاءٍ يُطُولُ ذِكْرُهَا، فَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ بِمَا أَحَدَثُوا فِيهِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

والخوارج: أول الفرق خروجاً على جماعة المسلمين، بعقائدهم الباطلة، ومناهجهم الفاسدة، وسيوفهم الجائرة.

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَأَوَّلُ بَدْعَةٍ حَدَّثَتْ فِي الْإِسْلَامِ بَدْعَةُ الْخَوَارِجِ»^(٢).

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ: الْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ»^(٣).

والخوارج أضر شيء على المسلمين، فهم بلاء هذه الأمة، وشوكة على مر عصورها، وقد تواترت الأحاديث في ذمهم، والتحذير منهم، والأمر بقتلهم، بل لا أشر منهم، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «شَرُّ قَتْلِي تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»^(٤).

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَيُّ أَنْهَمُ شَرُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَرًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ: لَا الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَهِدِينَ فِي قَتْلِ كُلِّ مُسْلِمٍ لَمْ يُوَافِقْهُمْ، مُسْتَحْلِينَ لِدِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ،

(١) الاستذكار (٢/٤٩٩).

(٢) الفتاوى (٣/٢٧٩).

(٣) الفتاوى (٣/٣٤٩).

(٤) رواه أحمد ح (٢٢٢٠٨) والترمذي ح (٣٠٠٠).

مُكْفَرِينَ لَهُمْ، وَكَانُوا مُتَدَيِّنِينَ بِذَلِكَ لِعَظَمِ جَهْلِهِمْ وَبِدَعَتِهِمُ الْمُضِلَّةِ»^(١).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وفيه أَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُتَبَدِّعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ»^(٢).

فرق الخوارج وألقابهم ومسمياتهم:

والخوارج فرق كثيرة وطوائف، ولكنهم متفقون على الخروج ومفارقة الجماعة، وأشهر أسمائهم الخوارج، ويسمون بالحرورية، لخروجهم من «حروراء» موضع بالقرب من الكوفة في أول أمرهم، ويسمون بالمارقة، لما جاء في الحديث «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ»^(٣)، ويسمون بـ «المُكْفَرَةَ»، لتكفيرهم من يخالفهم، وتكفيرهم بالمعاصي، ويسمون بـ «الشُّرَاة» لزعيمهم أنهم اشتروا أنفسهم من الله، وباعوها بالجنة، وأشدهم فيمن مضى «الأزارقة» أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، ولم يكن في الخوارج قوم أكثر منهم عددًا، وأشد منهم شوكة، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبدالله بن الزبير، وقتلوا عماله بهذه النواحي، وكانوا من أشد الخوارج تطرفًا، ولهم اعتقادات فارقوا بها سائر فرق الخوارج، وقالوا بإبطال رجم من زنى وهو محصن، وأن من قذف رجلًا محصنًا فلا حد عليه، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد، وقطعوا يد السارق من

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٤٨).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٠٢).

(٣) رواه البخاري ح (٤٠٩٤).

المنكب، وأوجبوا ذلك في كل سرقة وإن قلَّت، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وأباحوا دم الأطفال والنساء ممن لم يكن في عسكرهم، وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يسلموا إليه أسيراً من أسرى مخالفهم وأطفالهم ويأمرونه بقتلهم، فإن قتلهم صدقوه بأنه منهم، وإلا قتلوه، ويزعمون أن أطفال مخالفهم مشركون مخلدون في النار، وقد أطبقوا على أن ديار مخالفهم ديار كفر، وأن رد أماناتهم لا تجب، ويحرمون قتل اليهود والنصارى والمجوس، ويقولون أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر وخرج بها عن الإسلام جملة ويكون مخلدًا في النار مع سائر كفار الملل، ويكفرون عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في التحكيم، ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعًا، ويسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشرغًا وإن كان موافقًا لهم في مذهبهم، إلى غير ذلك من البدع والضلالات المهلكة^(١).

وللخوارج ألقاب ومسميات تتجدد بتجددهم، إما من جهة إطلاق الناس عليهم، وإما من جهة ما يطلقونه هم على أنفسهم تلبيسا على الناس وتزيينا لأفعالهم، كما يسمون في زماننا بتنظيم القاعدة، والدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، و«الجبهة الإسلامية»، وغير ذلك من المسميات.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٨-٥٦٦، ٥٦٨-٦١٤)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٥٧-١٦٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٢٥-٥٣).

وأخبث الخوارج: «القعدية»: وهم الذين يخرجون عن طاعة الحاكم باللسان، ويضمرون الخروج بالسيف، ولا يُبدون ذلك علانية، وإنما يُحرّضون العامة على السلطان بذكر المعايب، وتعداد المثالب، ويقبّحون جميل السيرة، ويزاحمون في الرئاسة.

قال ابن حجر رحمته الله: «والقعدُ الخوارج: كانوا لا يرون بالحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم، ويزينون مع ذلك الخروج ويحسنونه»^(١).

وقال: «والقعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك»^(٢).
فالقعدية: يزرعون الأحقاد في قلوب الناس على ولاتهم بذكر المعايب، ويحرّضونهم على الطعن فيهم، ويهيجونهم عليهم، ويظهرون ذلك في لباس الغيرة على الدين، والقيام بالحق، وإنكار المنكر، فهم أصل إشعال الفتن والخروج بالسيف، ولذلك قال عبدالله بن محمد الضعيف رحمته الله: «قعدُ الخوارج هم أخبث الخوارج»^(٣).

وهذا هو فعل عبدالله بن سبأ حين حرّض الناس على عثمان رضي الله عنه، قال ابن عساكر: «كان يهوديا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليُلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر،... ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان قد جمع أموالا

(١) تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٥٩).

(٣) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص (٢٧١).

أخذها بغير حقها». وكان يقول: «ابدؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتستميلوا الناس»^(١).

فلا يكون خروجٌ بالسَّنان، إلا وقد سبقه خروج باللسان.

ومن الأدلة الدالة على ذلك حديث الرجل الذي اعترض على قِسْمَةِ رسول الله ﷺ بلسانه قائلاً: يا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ قَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَسْتَ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفِّ فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ - وَأَظُنُّهُ قَالَ: - لَيْنَ أَدْرَكْتَهُمْ لَا قُتِلْتَهُمْ قَتَلَ ثَمُودَ»^(٢).

فهذا الرجل لم يحمل السيف على رسول الله ﷺ، وإنما اعترض عليه بلسانه، فجعله رسول الله ﷺ أصل الخوارج.

بداية نبتة الخوارج:

بدأت نبتة الخوارج من عصر نبينا ﷺ بالكلام، ثم نمت وتسببت في قتل الخليفة الراشد والإمام المصطبر المبشّر بالجنة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ثم استفحل أمرها، وقويت شوكتها في خلافة ابن عم رسول الله ﷺ أمير المؤمنين وأفضل العالمين في وقته علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وكان بداية ظهورهم كجماعة بعد معركة صفين، واتفق أهل العراق والشام على التحكيم، فاعترض الخوارج وقالوا: «أُتَحَكَّمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ الرَّجَالِ» «لا حكم

(١) تاريخ دمشق (٢٩/٣-٤).

(٢) رواه البخاري ح (٤٠٩٤).

إلا لله» فكان هذا شعارهم الذي فارقوا به الإمام وجماعة المسلمين، وكفروهم بذلك بزعم مخالفة القرآن، فأحلوا أنفسهم من بيعة علي أمير المؤمنين لاعتقاد كفره، وأمروا علي أنفسهم غيره، وذلك سنة سبع وثلاثين للهجرة، فخطبهم أميرهم خطبة بليغة، علي المعهود من الخوارج علي مر الأزمان كما وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ»^(١)، فزهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عندهم قتال مخالفيهم، والخروج علي جماعتهم، ثم أمر باعتزال الدار، قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ فِيهَا فِي مَبْنِئِهَا بِدَايَةِ ظُهُورِهِمْ: «أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى لِإِنْفَاقِ الْحُكُومَةِ، اجْتَمَعَ الْخَوَارِجُ فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ فَخَطَبَهُمْ خُطْبَةً بَلِيغَةً زَهَّدَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ قَالَ فَاخْرُجُوا بِنَا إِخْوَانَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا، إِلَى جَانِبِ هَذَا السَّوَادِ إِلَى بَعْضِ كُورِ الْجِبَالِ، أَوْ بَعْضِ هَذِهِ الْمَدَائِنِ مُنْكَرِينَ لِهَذِهِ الْأَحْكَامِ الْجَائِرَةِ. ثُمَّ قَامَ خُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالشَّانِ عَلَيْهِ: إِنَّ الْمَتَاعَ بِهَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، وَإِنَّ الْفِرَاقَ لَهَا وَشَيْكٌ، فَلَا تَدْعُونَكُمْ زِينَتُهَا وَبَهْجَتُهَا إِلَى الْمَقَامِ بِهَا، وَلَا تَلْفِتَنَّكُمْ عَنِ طَلَبِ الْحَقِّ وَإِنْكَارِ الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ. فَقَالَ سِنَانُ بْنُ حَمْزَةَ الْأَسَدِيُّ: يَا قَوْمُ إِنَّ الرَّأْيَ مَا رَأَيْتُمْ، وَإِنَّ الْحَقَّ مَا ذَكَرْتُمْ، فَوَلُّوا أَمْرَكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ عِمَادٍ وَسِنَادٍ، وَمِنْ رَايَةٍ تَحْفُونَ بِهَا وَتَرْجِعُونَ إِلَيْهَا. فَبَعَثُوا إِلَى زَيْدِ بْنِ حُصَيْنِ الطَّائِبِيِّ - وَكَانَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ -

(١) رواه أحمد ح (١٣٣٣٨) وأبو داود ح (٤٥٦٧).

عَرَضُوا عَلَيْهِ الإِمَارَةَ عَلَيْهِمْ فَأَبَى، ثُمَّ عَرَضُوهَا عَلَى حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ فَأَبَى، ثُمَّ عَرَضُوهَا عَلَى حَمْزَةَ بْنِ سِنَانٍ فَأَبَى، ثُمَّ عَرَضُوهَا عَلَى شُرَيْحِ بْنِ أَوْفَى الْعَبْسِيِّ فَأَبَى، ثُمَّ عَرَضُوهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ فَقَبِلَهَا، وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا أُقْبِلُهَا رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا وَلَا أَدْعُهَا فَرَقًا مِنَ المَوْتِ.

وَاجْتَمَعُوا أَيضًا فِي بَيْتِ زَيْدِ بْنِ حُصَيْنِ الطَّائِيِّ فَخَطَبَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وَالتِّي بَعْدَهَا وَبَعْدَهَا: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [٤٥] [المائدة: ٤٥]، ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [٤٧] [المائدة: ٤٦]. ثُمَّ قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى أَهْلِ دَعْوَتِنَا مِنْ أَهْلِ قِبْلَتِنَا أَنَّهُمْ قَدْ اتَّبَعُوا الهَوَى، وَنَبَذُوا حُكْمَ الكِتَابِ، وَجَارُوا فِي القَوْلِ وَالأَعْمَالِ، وَأَنَّ جِهَادَهُمْ حَقٌّ عَلَى المُؤْمِنِينَ. - يعنون أنفسهم - قَالَ: فَبَكَى رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَجَرَةَ السُّلَمِيِّ. ثُمَّ حَرَّضَ أَوْلِيكَ عَلَى الخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ، وَقَالَ فِي كَلَامِهِ: اضْرِبُوا وُجُوهَهُمْ وَجَبَاهَهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فَإِنْ أَنْتُمْ ظَفَرْتُمْ وَأَطِيعَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ، آتَاكُمْ اللَّهُ ثَوَابَ المُطِيعِينَ لَهُ العَامِلِينَ بِأَمْرِهِ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّبْرِ وَالمَصِيرِ إِلَى اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ؟

قال ابن كثير: وَهَذَا الصَّرْبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَعْرَبِ أَشْكَالِ بَنِي آدَمَ، فَسُبْحَانَ مَنْ نَوَّعَ خَلْقَهُ كَمَا أَرَادَ، وَسَبَقَ فِي قَدْرِهِ ذَلِكَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي الخَوَارِجِ: إِنَّهُمْ المَذْكَورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ

ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُفِئُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةَ الضُّلَّالَ، وَالْأَشْقِيَاءَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوَاطَّأُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْمَدَائِنِ؛ لِيَمْلِكُوهَا وَيَتَحَصَّنُوا بِهَا، ثُمَّ يَبْعَثُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَأَصْرَابِهِمْ - مِمَّنْ هُوَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا - فَيُؤَافُوهُمْ إِلَيْهَا، وَيَكُونُ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُمْ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ الطَّائِي: إِنَّ الْمَدَائِنَ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ بِهَا جَيْشًا لَا تَطِيقُونَهُ وَسَيَمْنَعُوهَا مِنْكُمْ، وَلَكِنْ وَاغْدُوا إِخْوَانَكُمْ إِلَى جِسْرِ نَهْرِ جَوْخَا، وَلَا تَخْرُجُوا مِنَ الْكُوفَةِ جَمَاعَاتٍ، وَلَكِنْ اخْرُجُوا وَحِدَانًا لئَلَّا يَشْعُرُوا بِكُمْ، فَكَتَبُوا كِتَابًا عَامًّا إِلَى مَنْ هُوَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَمَسْلَكِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا، وَبَعَثُوا بِهِ إِلَيْهِمْ لِيُؤَافُوهُمْ إِلَى النَّهْرِ، لِيَكُونُوا أَيْدًا وَاحِدَةً عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجُوا يَتَسَلَّلُونَ وَحِدَانًا لئَلَّا يَعْلَمَ أَحَدٌ بِهِمْ فَيَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ فَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَفَارَقُوا سَائِرَ الْقَرَابَاتِ، يَعْتَقِدُونَ بِجَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يُرْضِي رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَآوَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ وَالذُّنُوبِ الْمُؤَبَّاتِ، وَالْعِظَائِمِ وَالْخَطِيئَاتِ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُزَيِّنُهُ لَهُمْ إِبْلِيسُ وَأَنْفُسُهُمُ الَّتِي هِيَ بِالسُّوءِ أَمَّارَاتٌ. وَقَدْ تَدَارَكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بَعْضُ أَوْلَادِهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ فَرَدُّوهُمْ وَوَبَّخُوهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَمَرَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَحِقَ بِالْخَوَارِجِ فَخَسِرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَهَبَ الْبَاقُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَوَافَى إِلَيْهِمْ مَنْ كَاتَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا، وَاجْتَمَعَ الْجَمِيعُ

بِالنَّهْرَوَانِ، وَصَارَتْ لَهُمْ شَوْكَةً وَمَنْعَةً، وَهُمْ جُنْدٌ مُسْتَقِلُونَ وَفِيهِمْ شَجَاعَةٌ وَثَبَاتٌ وَصَبْرٌ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ مُتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَهُمْ قَوْمٌ لَا يُصْطَلَى لَهُمْ بِنَارٍ، وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ بِثَارٍ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَامَ عَلِيٌّ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ اللَّقَاءِ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ عَازِمٌ عَلَى غَزْوِ أَهْلِ الشَّامِ إِذْ بَلَغَهُ أَنَّ الْخَوَارِجَ قَدْ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ، وَقَطَعُوا السَّبِيلَ، وَاسْتَحَلُّوا الْمَحَارِمَ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قَتَلُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَسْرَوْهُ وَأَمْرَأَتُهُ مَعَهُ وَهِيَ حَامِلٌ فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَنْتُمْ قَدْ رَوَّعْتُمُونِي. فَقَالُوا: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، حَدَّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ. فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي» فَقَادُوهُ بِيَدِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَهُمْ إِذْ لَقِيَ بَعْضُهُمْ خَنْزِيرًا لِبَعْضِ أَهْلِ الدَّمَةِ فَضْرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ فَشَقَّ جِلْدَهُ، فَقَالَ لَهُ آخَرٌ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا وَهُوَ لِدَمِي؟ فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الدَّمِيِّ فَاسْتَحَلَّهُ وَأَرْضَاهُ. وَبَيْنَمَا هُوَ مَعَهُمْ إِذْ سَقَطَتْ تَمْرَةٌ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا أَحَدُهُمْ فَأَلْقَاهَا فِي فَمِهِ، فَقَالَ لَهُ آخَرٌ: بَغِيرِ إِذْنٍ وَلَا تَمَنٍّ؟ فَأَلْقَاهَا ذَاكَ مِنْ فَمِهِ، وَمَعَ هَذَا قَدَّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَبَّابٍ فَذَبَحُوهُ، وَجَاءُوا إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ حُبْلَى، أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ! فَذَبَحُوهَا وَبَقَرُوا بَطْنَهَا عَنْ وَلَدِهَا، فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ هَذَا مِنْ صَنِيعِهِمْ، خَافُوا إِنْ هُمْ ذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ وَاسْتَعْلَمُوا بِقِتَالِ أَنْ يَخْلِفَهُمْ هَؤُلَاءِ فِي ذَرَارِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَيَفْعَلُوا هَذَا الصَّنِيعَ، فَخَافُوا غَائِلَتَهُمْ، وَأَشَارُوا عَلَى عَلِيٍّ بِأَنْ يَبْدَأَ بِهِمْ، ثُمَّ إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ

سَارُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، وَالنَّاسُ آمِنُونَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَاجْتَمَعَ الرَّأْيُ عَلَى هَذَا، وَفِيهِ خَيْرَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُمْ وَلِأَهْلِ الشَّامِ أَيْضًا؛ إِذْ لَوْ قُودُوا هُوَ لَاءِ لَأَفْسَدُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا عِرَاقًا وَشَامًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا طِفْلًا وَلَا طِفْلَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُمْ قَدْ فَسَدُوا فَسَادًا لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ جُمْلَةً. فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمُ الْحَارِثَ بْنَ مُرَّةَ الْعَبْدِيِّ، وَقَالَ لَهُ: اخْبِرْ لِي خَبْرَهُمْ، وَاعْلَمْ لِي أَمْرَهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِهِ عَلَى الْجَلِيَّةِ. فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ قَتَلُوهُ وَلَمْ يُنْظَرُوهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا سَارَ إِلَيْهِمْ وَتَرَكَ أَهْلَ الشَّامِ»^(١).

تجدد الخوارج:

وقد قضى الله أن الخوارج في هذه الأمة يتجددون بأفكارهم ومناهجهم، وإن اختلفت ألقابهم ومسمياتهم، حتى يخرج الدجال في آخر الزمان، فينضون تحت رايته، ويقاتلون المسلمين تحت لوائه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنشَأُ نَشَاءٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ»^(٢).

وفي رواية من حديث أبي برزة الأسلمي: «لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الدَّجَالِ»^(٣).

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٥٧٨-٥٨٥) وانظر ملخص بداية أول أمرهم في فتح الباري (١٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) رواه ابن ماجه ح (١٧٤)، وعراضهم: أي جيشهم، فيكون معهم، ويكونون معه.

(٣) رواه أحمد ح (١٩٨٠٩).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إِلَى زَمَنِ الدَّجَالِ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ لَيْسُوا مُخْتَصِّينَ بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ»^(١).

تواتر الأحاديث في ذم الخوارج:

ولعظم فتنة الخوارج، وشرهم، وفسادهم للدين والدنيا، تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذمهم، والتحذير منهم، والأمر بقتالهم، وكثرت في الآثار أوصافهم، وبيان حالهم ومآلهم، حتى لا يغتر بهم أحد، ويلبسوا عليه دينه، ولكن مع تأخر الزمان، وظهور الفتن، وفشو الجهل، قد تخفى الصفات، ويغتر البعض بالمسميات، ويفتن آخرون ببعض مظاهر العبادات.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك الخوارج: لمّا كانوا أهل سيف وقاتل، ظهرت مخالفتهم للجماعة، حين كانوا يقاتلون الناس، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس»!^(٢).

ولأجل هذا الأمر، ومساهمة في نشر علم من مضى من الأئمة، وتبصير الناس بما ورد في السنة المطهرة، أسرد بعض صفات الخوارج، مستعيناً بالله تعالى، فأقول -وبالله التوفيق-: إن من أهم صفات الخوارج:

١- أنهم يخرجون عند الفتن:

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَقُومُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٦).

(٢) النبوات (١/٥٤٦).

السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَبَلَ فِئْتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، تَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ يَقْتُلُهَا
أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»^(١).

وعنه رَجَعَهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»^(٢).

وفي رواية: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ
بِالْحَقِّ»^(٣).

وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل، وأصحاب صفين، والمارقة التي مرقت
عند هذه الفرقة هي الخوارج، خرجوا بعد معركة صفين وتحكيم الحكّمين،
فقاتلهم علي رَجَعَهُ وقتلهم^(٤).

وهذا أمر معلوم مشاهد في الخوارج عبر الأزمان، لا يظهر إلا في الفتن
والفرقة واختلال الأمور، ومن تأمل أوقات ظهورهم تبين له الأمر بجلاء، فهم
أول ما خرجوا حين وقع القتال والفتنة بين أهل العراق وأهل الشام، فقاتلهم
علي رَجَعَهُ فقتلهم، «وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا دُونَ الْعَشْرَةِ، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَيَّ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ
مَنْ مَالَ إِلَيَّ رَأْيِهِمْ فَكَانُوا مُخْتَفِينَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ، وما بعدها في خلافة معاوية
وابنه يزيد، فلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَوَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ
وَأَطَاعَهُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ إِلَّا بَعْضَ أَهْلِ الشَّامِ ثَارَ مَرَوَانَ فَادَّعَى الْخِلَافَةَ وَعَلَبَ

(١) رواه عبد الرزاق ح (١٨٦٥٨)، وأحمد من طريقه، ح (١١٩٠٦) وقال الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(٢) رواه البخاري ح (٦٩٣٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

(٤) قال ابن كثير: «ووقع ذلك في زمان علي معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة». البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

عَلَى جَمِيعِ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، فَظَهَرَ الْخَوَارِجُ حَيْثُ نَزِدَ بِالْعِرَاقِ مَعَ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ وَبِالْيَمَامَةِ مَعَ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَهَكَذَا دَوَّالِيكَ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ ظُهُورَ جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ مِنْهُمَ هُنَا وَهَنَّاكُ...

٢- أنهم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام:

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ...»^(١).

وفي رواية: «سَيُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحَدَاتُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»^(٢).

قال ابن حجر: «وَقَوْلُهُ: «حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ» أَي: صغارها، و«سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»، أَي: ضَعْفَاءُ الْعُقُولِ»^(٣).

وقال: «وَالْأَسْنَانُ: جَمْعُ سِنَّ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْعُمُرُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ شَبَابٌ، قَوْلُهُ: «سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»: جَمْعُ حِلْمٍ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: الْعَقْلُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ عُقُولَهُمْ رَدِيئَةٌ»^(٤).

فهم صغار في السن، صغار في العقول، ليست لهم تجارب، ولا سابق معرفة، ولذلك يتلاعب بهم كبارهم، ويدعونهم إلى الفتن باسم الجهاد، وإلى التكفير والفساد في الأرض باسم الدين!

(١) رواه البخاري ح (٣٦١١).

(٢) رواه البخاري ح (٣٩٣٠) ومسلم ح (٢٤٢٧).

(٣) فتح الباري (٦/٦١٩).

(٤) فتح الباري (١٢/٢٨٧).

٣- الجهل وسوء الفهم والابتعاد عن العلم وأهله:

وهذه صفات بارزة في جميع الخوارج، لا سيما مع ما تقدم من وصفهم بحدائثة السن ورداءة العقل.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ: سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»^(١).

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»^(٢).

قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومعنى: «لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»: لا يفهمونه، ولا يعملون

بمعناه»^(٣).

وقال ابن عبد البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وأما قوله: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِقِرَاءَتِهِ؛ إِذْ تَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ السُّنَّةِ الْمُبِينَةِ لَهُ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى جَهْلِ السُّنَّةِ وَمُعَادَاتِهَا، وَتَكْفِيرِهِمُ السَّلْفَ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ، وَرَدَّهُمْ لِشَهَادَاتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ: تَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ بَارَائِهِمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا حَصَلُوا مِنْ تِلَاوَتِهِ إِلَّا عَلَى مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمَاضِغُ الَّذِي يَبْلَعُ وَلَا يُجَاوِزُ مَا فِي فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ حَنْجَرَتَهُ»^(٤).

(١) رواه مسلم ح (١٠٦٧).

(٢) رواه البخاري ح (٥٥٥٨).

(٣) المفهم (٣/١٠٩).

(٤) الاستذكار (٢/٤٩٩).

ومما يدل على سوء فهمهم للقرآن قوله ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ...»^(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ،... يَدْعُونَ إِلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ»^(٢).

ومن أمثلة جهلهم بالقرآن:

عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ أَنَّهُ سَأَلَ نَافِعًا كَيْفَ كَانَ رَأْيُ ابْنِ عُمَرَ فِي الْحُرُورِيَّةِ؟ قَالَ: «كَانَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ، انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتِ الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ»^(٣).

وهذا الأمر هو أصل انحرافهم، قال ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَصْلِ بَدْعَتِهِمْ: «فَإِنَّ أَصْلَهَا مَا فَهَمُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَغَلَطُوا فِي فَهْمِهِ»^(٤).

وقال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانُوا آيَتًا وَلَوْ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِمْ»^(٥).

(١) رواه مسلم ح (٢٤٣٢).

(٢) رواه أحمد ح (١٣٣٣٨) وأبوداود ح (٤٥٦٧).

(٣) عزاه ابن حجر في الفتح (٢٨٦/١٢) إلى الطبري في تهذيب الآثار، وقال: «وسنده صحيح»،

وقد علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/٤٤٧).

(٥) فتح الباري (١٢/٢٨٣).

ومما يدل على عظم جهلهم، وسوء فهمهم؛ تطاولهم على المسلمين بالتكفير واستباحة دمائهم، قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَذَلِكَ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَمَّا حَكَمُوا بِكُفْرٍ مِنْ خَالَفَهُمْ اسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ، وَتَرَكَوْا أَهْلَ الذِّمَّةِ، فَقَالُوا: نَفِي لَهُمْ بَعْدَهُمْ، وَتَرَكَوْا قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَعْلَوْا بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ عِبَادَةِ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْشَرِحْ صُدُورُهُمْ بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِ وَثِيقٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَفَى أَنْ رَأَسَهُمْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ، نَسَأَلِ اللَّهُ السَّلَامَةَ»^(١).

وكل هذا من آثار البعد عن العلماء، والإعراض عن مجالسهم وفهمهم، ولذلك قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج لما جاءهم ليناظرهم: «أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ»^(٢).

قال ابن حزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَسْلَافُ الْخَوَارِجِ كَانُوا أَعْرَابًا قَرَأُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَتَفَقَهُوا فِي السُّنَنِ الثَّابِتَةِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، لَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَا أَصْحَابِ عَمْرٍو، وَلَا أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَلَا أَصْحَابِ عَائِشَةَ، وَلَا أَصْحَابِ أَبِي مُوسَى، وَلَا أَصْحَابِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَلَا أَصْحَابِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَلَا أَصْحَابِ سَلْمَانَ، وَلَا أَصْحَابِ زَيْدِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عَمْرٍو، وَلِهَذَا تَجَدَّهُمْ يُكْفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عِنْدَ أَقَلِّ نَازِلَةٍ تَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ دِقَاقِقِ الْفُتْيَا وَصِغَارِهَا، فَظَهَرَ ضَعْفُ الْقَوْمِ وَقُوَّةُ جَهْلِهِمْ»^(٣).

(١) فتح الباري (٣٠١/١٢).

(٢) رواه النسائي في الكبرى ح (٨٥٢٢) والحاكم (٤٩٥/٢).

(٣) الفصل (٤/١٢١).

وقد وصفهم علي رضي الله عنه حين أيس من نصحهم، وتهيأ لقتالهم بعد أن أفسدوا في الأرض وسفكوا الدم الحرام: «وقاتلوا من حادَّ الله، وحاول أن يطفى نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالين، القاسطين المجرمين، الَّذِينَ ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام، والله لو وُلوا عَلَيْكُمْ لعمَلوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل»^(١).

٤- الإعجاب بالنفس والاعتزاز بالعمل:

فَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: - وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ - «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدَّابُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نَفْسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

وفي رواية: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، وَسَيَحِيءُ قَوْمٌ يُعْجِبُونَكُمْ، وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ»^(٣).

والإعجاب بالنفس هلاك:

فَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٍ شَحُّ مُطَاعٍ وَهَوَى مُتَّبَعٍ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ»^(٤).

وفي رواية: «وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٥).

(١) تاريخ الطبري (٧٨/٥).

(٢) رواه أحمد ح (١٢٨٨٦).

(٣) رواه الحاكم ح (١٤٧/٢).

(٤) رواه البزار ح (٧٢٩٣).

(٥) رواه البزار ح (٦٤٩١).

وهذا فيه أن الإنسان إذا اعتدَّ برأيه أصابه الغرور، حيث يعجب بنفسه، ويظن أنه على الحق، فلا يراجع نفسه، ولا يجالس العلماء ليتبين له عواره، بل يظن أنه أعلم وأفقه الناس، فيبدأ الانحراف، ويغره الشيطان بالهوى، وقد يكون له أصحاب ينفخونه بجهلهم، فيحل هلاكه، وينسلخ من الدين، وهو يحسب أنه من المجاهدين، وقد قال رسول الله ﷺ: «يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى يَخْتَلِفَ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ، وَحَتَّى تَخُوضَ الْخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، يَقُولُونَ: مَنْ أَفْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟» ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ فِي أَوْلِيكَ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَوْلِيكَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ، حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِجْتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِذَاءَ لِلْإِسْلَامِ، غَيْرُهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمْ الرَّمِي؟ قَالَ: «بَلِ الرَّمِي»^(٢).

وفي رواية: «حَتَّى إِذَا رُئِيَ عَلَيْهِ بِهِجْتُهُ، وَكَانَ رِذَاءً لِلْإِسْلَامِ، اغْتَزَلَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٣).

وفي رواية: «حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِجْتُهُ وَكَانَ رِذَاءَ لِلْإِسْلَامِ، اغْتَرَّهُ الشَّيْطَانُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٤).

(١) رواه الطبراني في الأوسط ح (٦٢٤٤).

(٢) رواه ابن حبان ح (٨١) والبزار ح (٢٧٩٣).

(٣) رواه البزار ح (٢٧٩٣).

(٤) رواه الهروي في ذم الكلام ح (٨٩).

فهذا قرأ القرآن كحال بقية الخوارج قراءة لا تتجاوز الحناجر، من غير فهم، ولذلك أصابه الغرور، ثم اعتزل لسوء ظنه بالناس، وسوء فهمه للدين، فبدأ بالتكفير، ثم أتبعه بالسيف، وبدأ بالجار، وهو أولى الناس بالإحسان والأمن من البوائق، ولكن شأن الخوارج انتكاس الفطر، وخيانة المحسن، ونكران الحقوق.

قال ابن كثير رحمه الله: «قال أبو أيوب: وَطَعَنْتُ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ بِالرُّمْحِ، فَأَنْفَذْتُهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقُلْتُ لَهُ: أَبَشِّرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِالنَّارِ، فَقَالَ: سَتَعَلَّمُ أَئِنَّا أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا. وَجَعَلَ عَلِيٌّ يَمْشِي بَيْنَ الْقَتْلَىٰ مِنْهُمْ وَيَقُولُ: بُؤْسًا لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ عَرَّكُمْ. فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ عَرَّهُمْ؟ قَالَ: الشَّيْطَانُ، وَأَنْفُسُ السُّوءِ أَمَارَةٌ، عَرَّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَزَيَّنَتْ لَهُمُ الْمَعَاصِي، وَنَبَّأَتْهُمْ أَنََّّهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١).

ومن علامات اغترار الخوارج: تمادحهم بأعمالهم، والتلبيس على الأغرار بذلك، قال يزيد الفقيري رحمه الله: «كنت غلامًا شابًا فقرأت القرآن، فالتزق بي نفرٌ من الخوارج يدعون إلي أمرهم، فقضي أني خرجت معهم حاجًا، فإذا هم يقولون: هل لك في رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فانطلقت معهم، فإذا هو أبو سعيد الخدري فقالوا: يا أبا سعيد، إننا فينا رجالًا يقرؤون القرآن، هم أشدُّ اجتهادًا، فبينما هم كذلك إذ خرجوا علينا بأسيا فهم، فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»^(٢).

فهذا شاب قرأ القرآن، ولكن لم يكن على دراية بالعلم ولا مجالسة لأهله،

(١) البداية والنهاية (١٠/٥٨٨).

(٢) الطيوريات (٢/٧١٣)، وأصله عند مسلم ح (١٩١).

فاستغل الخوارج ذلك، فالتزقوا به، ولازموه يدعونه إلى أمرهم، ورغبوه في الحج لينفردوا به، ويُشيعوه بشبههم ومنهجهم، - على عادة الخوارج دعوة الشباب إلى أماكن خارجة عن نظر الأهل وولاية أمورهم، كالمخيمات، والرحلات للعمرة والحج والبراري، ونحو ذلك -، ثم دَعَوْهُ إلى زيارة الصحابي أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليظهروا له صحة دعوتهم، ولم يذهبوا له ليتعلموا من علمه؛ وإنما ليمدحوا أعمالهم عنده، فَقَالُوا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّا فِينَا رَجَالًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، هُمْ أَشَدُّ اجْتِهَادًا، وهذا في الغالب: إما أن يُمدح صاحبه، أو يُسكت عنه ولا يُنكر عليه، وهذا يكفي لتصحيح مذهبهم عند الشاب الذي ماشاهم وجالسهم، ولم ير منهم إلا صلاحًا ظاهرًا، ولكن لما كان أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عارفا بالسنة، وخبيراً بهم، لم يجبههم إلى ما أرادوا، بل كشف حالهم، فأظهروا حقيقتهم وشهروا سيفهم، وأنقذ الله هذا الشاب من شرهم بجلسة واحدة مع عالم من الصحابة، وهكذا الشأن في زماننا إذا انفردوا بالشاب، ولكن لا يأخذونه إلا إلى من يعرفونه ويأمنون جانبه، حتى لا يفسد عليهم أمرهم، وقد يسبقه تنسيق، مع إطراء شديد لصاحبهم، ووضع هالة من الألقاب عليه يرفعونه بها إلى السماء، ليصطادوا به الضعفاء.

وهذا بخلاف ما عليه أهل السنة والعلم النافع، فإنهم لا يمدحون أنفسهم، ولا يحبون ذلك:

قال ابن رجب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من علامات أهل العلم النافع: أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً، ولا مقاماً، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح، ولا يتكبرون على أحد... وكلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعاً لله وخشية وانكساراً وذلاً.

ومن علامات العلم النافع: أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا، وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح»^(١).

وفي الأثر المتقدم دليل أن مجالسة علماء السنة نجاة وعصمة من الأفكار المنحرفة.

هـ - الغلو والتعمق في العبادة، والتشدد في غير موضع الشدة:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَيَّ قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَيَّ صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَيَّ صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تَجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٣).

قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الدِّيَانَةِ، وَالْتِنَاطُ فِي الْعِبَادَةِ بِالْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ فِيمَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ الشَّرْعُ، وَقَدْ وَصَفَ الشَّارِعُ الشَّرِيعَةَ بِأَنَّهَا سَهْلَةٌ سَمْحَةٌ»^(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: - وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ -

(١) بيان فضل علم السلف على الخلف ص (٨).

(٢) رواه البخاري ح (٥٥٨).

(٣) رواه مسلم ح (١٠٦٦).

(٤) فتح الباري (٣٠١/١٢).

«إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَذَابُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبُهُمْ نَفْسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي الْحُرُورِيَّةِ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ: «قَوْمًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمَهُ عِنْدَ صَوْمِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ»^(٣).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمَّا اعْتَرَكَتِ الْحُرُورِيَّةُ فَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حَدِيثِهِمْ»^(٤)، فَقُلْتُ لِعَلِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ لِعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأَكَلَمَهُمْ قَالَ: إِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ، قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَيْ قَالَ: فَلَبِستُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا تَفْنُ الْإِبِلَ^(٥) وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ...»^(٦).

(١) رواه أحمد ح (١٢٨٨٦).

(٢) رواه أحمد ح (١١٢٩١).

(٣) رواه أحمد ح (٧٠٣٨).

(٤) أي: لوحدهم.

(٥) تَفْنُ: «بِكَسْرِ الْفَاءِ، مَا وَلِيَ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ ذَاتِ أَرْبَعِ إِذَا بَرَكْتَ، كَالرُّكْبَتَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَيَحْصُلُ فِيهِ غِلْظٌ مِنْ أَثَرِ الْبُرُوكِ». النهاية (١/٢١٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في المصنف ح (١٨٦٧٨).

ومن شواهد ذلك: أن «عروة بن حدير وهو ممن نجا من حرب النهروان، وكان من رؤوس الخوارج، وبقي إلى أيام معاوية، ثم أتى إلى زياد بن أبيه ومعه مولى له؛ فسأله زياد عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال فيهما خيرا، وسأله عن عثمان، فقال: كنت أوالي عثمان على أحواله في خلافته ست سنين. ثم تبرأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها، وشهد عليه بالكفر. وسأله عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقال: كنت أتولاه إلى أن حكّم الحكمين، ثم تبرأت منه بعد ذلك، وشهد عليه بالكفر. وسأله عن معاوية فسبه سبّا قبيحا، ثم سأله عن نفسه فقال: أولك لزنبة، وأخرك لدعوة، وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك. فأمر زياد بضرب عنقه، ثم دعا مولاه فقال له: صف لي أمره واصدق. فقال: أأطنب أم أختصر؟ فقال: بل اختصر، قال: ما أتيت به بطعام في نهار قط، ولا فرشت له فراشا بليل قط».

أي: لا ينام الليل من طول القيام، ولا يأكل في النهار من دوام الصيام، فهو قائم صائم دهره كله.

قال الشهرستاني معقبا: «هذه معاملته واجتهاده، وذلك خبثه واعتقاده»^(١).

فالخوارج تعمقوا في العبادة على خلاف السنة، وبالغوا في ذلك، وتركوا مجالس العلماء، فلبس عليهم إبليس، وزين لهم سوء عملهم، ونقلهم من البدع إلى السيف. قال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: «كُنَّا جُلُوسًا عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ نَنْتَظِرُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْنَا، فَإِذَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، فَقَالَ: لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: لَا. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ قُمْنَا إِلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى:

(١) حكاها الشهرستاني في الملل والنحل (١/٣١٧).

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْفَاءَ فِي الْمَسْجِدِ أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: فَإِنْ عِشْتَ فَسَتَرَى. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ حَلَقًا جُلُوسًا، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي يَدِهِ حَصَى يَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيَسْبِّحُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلُّوا مِائَةً فَيَهْلَلُونَ مِائَةً. فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيَكْبِرُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْظَارَ رَأْيِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا تَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ؟ قَالَ: فَمَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَلَقَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، قَالَ: فَمَاذَا فِي أَيْدِيكُمْ؟ قَالُوا: حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: تَخَافُونَ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ؟ عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ وَأَنَا ضَامِنٌ لِحَسَنَاتِكُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْهَا شَيْءٌ، وَيُحَكِّمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ، هُوَ لِأَصْحَابَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ آيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ وَثِبَابُهُ لَمْ تَبَلْ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُونَ بَابَ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: كَمْ مَنْ يُرِيدُ الْخَيْرَ لَا يُصِيبُهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: فَرَأَيْنَا عَامَّةَ أَهْلِ تِلْكَ الْحَلَقِ يُطَاعِنُونَنَا يَوْمَ النَّهْرِ وَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «يُشَدُّدُونَ فِي الدِّينِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ التَّشْدِيدِ، وَيُبَالِغُونَ فِي الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ، وَلَا يُقِيمُونَ بِحُقُوقِ^(٢) الْإِسْلَامِ، بَلْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ»^(٣).

(١) رواه الدارمي في سننه ح(٢١٠).

(٢) كذا في الأصل الذي بين أيدينا ولعل الصواب: «وَلَا يُقِيمُونَ حُقُوقَ الْإِسْلَامِ»، أو «وَلَا يَقُومُونَ بِحُقُوقِ الْإِسْلَامِ».

(٣) شرح مسلم (٧/١٦٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وَهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ عِبَادَةٌ وَوَرَعٌ وَزُهْدٌ؛ لَكِنْ بَغَيْرِ عِلْمٍ»^(١).

وقال ابن حجر رحمه الله: «كَانُوا يَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»^(٢).

وهذا فيه أن الاجتهاد في الطاعة مع فساد الباطن لا ينفع.

قال الآجري رحمه الله: «فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَرِبَ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا يَطُولَ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا يَدَوِّامَ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ»^(٣).

ومن غلو الخوارج شدة بغضهم لمن يخالفهم ولا يدين بمذهبهم:

قال ابن كثير رحمه الله: «وَرَوَى الْهَيْثَمُ عَنْ بَعْضِ الْخَوَارِجِ أَنَّهُ قَالَ: مَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ وَهَبٍ مِنْ بَعْضَتِهِ لِعَلِّيٍّ يُسَمِّيهِ إِلَّا الْجَاهِدَ»^(٤).

٦- معارضة السنة بعقولهم، ومحاكمتها إلى فهمهم وردّها والطعن فيها:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ

(١) مجموع الفتاوى (٥٨٠/٢٨).

(٢) فتح الباري (٢٨٣/١٢).

(٣) الشريعة (٣٤٥/١).

(٤) البداية والنهاية (٥٩١/١٠).

السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

قال ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وَقَفَ لَعَلِمَ أنه لا رأي فوق رأي رَسُولِ اللهِ ﷺ»^(٢).

وقال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معلقاً على الحديث: «فَكَانَ مَبْدَأُ الْبِدْعِ هُوَ الطَّعْنُ فِي السُّنَّةِ بِالظَّنِّ وَالْهَوَى؛ كَمَا طَعَنَ إبْلِيسُ فِي أَمْرِ رَبِّهِ بِرَأْيِهِ وَهَوَاهُ»^(٣).

وقال: «فَإِنَّ الْخَوَارِجَ أَصْلُ بِدْعَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَرُونَ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَاتِّبَاعَهُ فِيمَا خَالَفَ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ»^(٤).

وقال: «وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ فِي زَعْمِهِمْ وَلَا يَتَّبِعُونَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي يُظُنُّونَ أَنَّهَا تُخَالَفُ الْقُرْآنَ»^(٥).

وقال: «فَإِنَّ مِنَ الْخَوَارِجِ مَنْ يَرُدُّ السُّنَّةَ الْمُخَالَفَةَ لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الرَّسُولَ سَنَّهَا»^(٦).

ولذلك لا يرفعون رأساً بأحاديث السمع والطاعة وعدم الخروج على ولاية الجور، بل يستهزؤون ويسخرون بالمتمسكين بها، أو يحرفونها عن وجهها، ويضعونها في غير مواضعها.

(١) رواه البخاري ح (٦٩٣٣).

(٢) تلبس إبليس (٥٥٠/٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥٠/٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠٤/٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٧٣/٢٨).

(٦) مجموع الفتاوى (٩٠/٢٢).

٧- الجراءة على أئمة المسلمين، والطعن عليهم، وإظهار عيوبهم:

الخوارج تبدأ فتتهم بزرع البغضاء في قلوب الرعية على السلطان، وتحريش العامة على ولاية أمرهم بذكر العيوب تارة، وبالتشكي من الحرمان أخرى، وبانتشار الظلم والفساد الثالثة، ويظهرون ذلك في قالب النصح، والأمر بالمعروف، والغيرة على الدين ونحو ذلك.

وبدأ هذا الأمر من ذي الخويصرة حين اعترض على النبي ﷺ في قسمته، ونسبه إلى الجور، وخاطبه بأسلوب فظ غليظ، قائلاً: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِي»^(١) هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَأَظْنُهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثُمُودَ»^(٢).

وظهر فعلهم هذا بجلاء في زمن عثمان وزمن علي رضي الله عنهما، فقد روى الطبري في التاريخ عن محمد بن عمر قال: «حدثني سالم مولى أم محمد، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبد الله الصنعاني، قال: كان أول ما سُمع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين، لما صلى

(١) قال ابن كثير رضي الله عنه: «وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ وَنَسْلِهِ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ سُلَالَةِ هَذَا، بَلْ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ نَسْلِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: «مِنْ ضِئْضِي هَذَا». أَيْ مِنْ شَكْلِهِ وَعَلَى صِفَتِهِ فِعْلًا وَقَوْلًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ». البداية والنهاية (١٠/٦١٨).

(٢) رواه البخاري ح (٤٠٩٤).

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سِرْحٍ بِالنَّاسِ الْعَصْرِ، كَبَّرَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ تَكْبِيرًا وَرَفَعَ صَوْتَهُ، حَتَّى فَرَّغَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سِرْحٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ سَأَلَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ يَكْبُرُ، فَدَعَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ وَالْحَدَثُ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ بَدْعَةٌ وَلَا حَدَثٌ، وَمَا بِالتَّكْبِيرِ بِأَسٍّ، قَالَ: لَا تَعُودُنْ، قَالَ: فَأَسْكَتَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ كَبَّرَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ تَكْبِيرًا أَرْفَعَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ غَلَامٌ أَحْمَقٌ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي لَا أُدْرِي مَا يُوَافِقُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَارَبْتَ بَيْنَ خَطْوِكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ: وَاللَّهِ مَالِكٌ إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَوْ هَمَمْتَ بِهِ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَكُفَّ خَيْرَ لَكَ، وَاللَّهِ لَا تَرْكَبُ مَعْنَا، قَالَ:

فَأَرْكَبُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: أَرْكَبُ حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ: فَارْكَبْ فِي مَرْكَبِ وَحْدِهِ مَا مَعَهُ إِلَّا الْقَبْطُ، حَتَّى بَلَغُوا ذَاتَ الصَّوَارِي، فَلَقُوا جَمُوعَ الرُّومِ فِي خَمْسِمِائَةِ مَرْكَبٍ أَوْ سِتْمِائَةِ فِيهَا الْقُسْطَنْطِينُ بْنُ هِرْقَلٍ، فَقَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، قَالُوا: نَنْظُرُ اللَّيْلَةَ، فَبَاتُوا يَضْرِبُونَ بِالنَّوَاقِيسِ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يَصِلُونَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا وَقَدْ أَجْمَعَ الْقُسْطَنْطِينُ أَنْ يِقَاتِلَ، فَقَرَّبُوا سَفْنَهُمْ، وَقَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ فَرِبَطُوا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَصَفَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَوَاحِي السَّفْنِ، وَجَعَلَ يَأْمُرُهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالصَّبْرِ، وَوَثَبَتِ الرُّومُ فِي سَفْنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفُوفِهِمْ حَتَّى نَقَضُوهَا، فَكَانُوا يِقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ صَفُوفٍ.

قَالَ: فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إِلَّا الشَّرِيدُ.

قَالَ: وَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بِذَاتِ الصَّوَارِي أَيَا مَا بَعْدَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا، وَجَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْنَا خَلْفَنَا الْجِهَادَ حَقًّا، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: وَأَيُّ جِهَادٍ؟ فَيَقُولُ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى أَفْسَدَ النَّاسَ، فَقَدِمُوا بِلَدِهِمْ وَقَدْ أَفْسَدَهُمْ، وَأَظْهَرُوا مِنْ الْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَنْطِقُونَ بِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ: «خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَامَ خُرُوجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، فَأَظْهَرَ عَيْبَ عُثْمَانَ وَمَا غَيْرَ وَمَا خَالَفَ بِهِ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، وَإِنْ دَمَ عُثْمَانُ حَلَالٌ.

ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد، رجلا كان رسول الله ﷺ أباح دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسول الله ﷺ قوما وأدخلهم، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدو، وكانا أكمل المسلمين قتالا، فقبل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه، عبد الله بن سعد استعمله عثمان، وعثمان فعل وفعل، فأفسدا أهل تلك الغزاة، وعابا عثمان أشد العيب، فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهاهما أشد النهي، وقال: والله لولا أنني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما»^(١).

وعن عون بن أبي جحيفة أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحر قوص بن زهير السعدي،

(١) تاريخ الطبري (٤/٢٩١).

فدخلوا عَلَيْهِ، فقالوا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فَقَالَ لَهُ حُرْقُوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك،... فَقَالَ لَهُ زُرْعَةُ بْنُ الْبَرَجِ: أَمَا وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ، لَئِنْ لَمْ تَدَعْ تَحْكِيمَ الرِّجَالِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ قَاتَلْتُكَ، أَطْلُبُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ: بؤس لك، مَا أَشْقَاكَ! كَأَنِّي بِكَ قَتِيلًا تَسْفِي عَلَيَّكَ الرِّيحَ، قَالَ: وددت أن قَدْ كَانَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ: لو كنتَ محققاً كَانِ فِي الْمَوْتِ عَلَيَّ الْحَقُّ تَعْزِيَةً عَنِ الدُّنْيَا، إِنْ الشَّيْطَانُ قَدِ اسْتَهْوَاكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ﷻ، إِنَّهُ لَا خَيْرَ لَكُمْ فِي دُنْيَا تَقَاتِلُونَ عَلَيَّهَا^(١).

وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي حَرَةَ الْحَنْفِيِّ، أَنِ عَلِيًّا خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ يَخْطُبُ، فَإِنَّهُ لَفِي خُطْبَتِهِ إِذْ حَكَّمَتِ الْمَحْكَمَةُ فِي جَوَانِبِ الْمَسْجِدِ^(٢)، فَقَالَ عَلِيُّ: اللَّهُ أَكْبَرُ! كَلِمَةٌ حَقٌّ يَرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! إِنْ سَكْتُوا غَمَمْنَاكُمْ، وَإِنْ تَكَلَّمُوا حَجَجْنَاكُمْ، وَإِنْ خَرَجُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاكُمْ، فَوَثَبَ يَزِيدُ بْنُ عَاصِمِ الْمُحَارِبِيِّ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرُ مَوْدِعٍ رَبَّنَا وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ إِعْطَاءِ الدُّنْيَا فِي دِينِنَا، فَإِنَّ إِعْطَاءَ الدُّنْيَا فِي الدِّينِ أَذْهَانٌ فِي أَمْرِ اللَّهِ ﷻ، وَذَلَّ رَاجِعٌ بِأَهْلِهِ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ يَا عَلِيُّ، أَبَالْقَتْلِ تَخَوْفُنَا! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ نَضْرِبَكُمْ بِهَا عَمَّا قَلِيلٍ غَيْرِ مُصْفِحَاتٍ، ثُمَّ لَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ هُوَ وَإِخْوَةٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ هُوَ رَابِعُهُمْ، فَأَصِيبُوا مَعَ الْخَوَارِجِ بِالنَّهْرِ، وَأَصِيبَ أَحَدَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّخِيلَةِ^(٣).

فهذه شواهد من التاريخ تدل على أن أصل الخروج بالسيف إنما هو باللسان،

(١) تاريخ الطبري (٧٢/٥).

(٢) أي رفعوا أصواتهم بقولهم: لا حكم إلا لله.

(٣) تاريخ الطبري (٧٣/٥).

وبه تسقط الهيبة، ويتناول الرعاء، وتبدأ الفتنة، ولهذا جاءت النصوص الشرعية بالوعيد الشديد على هذه الأعمال:

فَعَنْ زِيَادِ بْنِ كُثَيْبِ الْعَدَوِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، وَعَلَيْهِ ثِيَابُ رِقَاقٍ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: انظُرُوا إِلَيَّ أَمِيرَنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ»^(١).

قال الذهبي: «أبو بلالٍ هذا هو مرداس بن أديّة خارجيٍّ، ومن جهله عدّ ثياب الرّجال الرّقاق لباس الفساق»^(٢).

فهذا الخارجي أنكر على الإمام أمام الناس، فأسكته الصحابي رضي الله عنه وبين له أن هذا من إهانة السلطان، وأن من فعل ذلك فإن الله سيهينه.

وعن سعيد بن جهمان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلت الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدّثنا رسول الله ﷺ «أنهم كلاب النار»، قال: قلت: الأزارقة وخدمهم أم الخوارج كلُّها؟ قال: «بل الخوارج كلُّها». قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال «ويحك يا ابن جهمان عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك، فأته

(١) رواه الترمذي ح (٢٢٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠٨).

فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرُهُ بِمَا تَعَلَّمُ، فَإِنْ قَبَلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعَّهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ»^(١).

قال الشوكاني رَضِيَ اللهُ فِي الْوَاجِبِ فَعَلَهُ نَحْوُ مَنْ يَشْبَطُ عَنِ الْإِمَامِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ الْفِتْنِ بِالطَّعْنِ فِيهِ: «فَالوَاجِبُ دَفَعَهُ عَنِ هَذَا التَّشْيِيطِ، فَإِنْ كَفَّ وَإِلَّا كَانَ مُسْتَحَقًّا لِتَغْلِيظِ الْعُقُوبَةِ، وَالْحِيلُولَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ صَارَ يَسْعَى لَدَيْهِ بِالتَّشْيِيطِ بِحَسَبِ أَوْ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ مَرْتَكِبٌ لِمَحْرَمٍ عَظِيمٍ، وَسَاعٍ فِي إِثَارَةِ فِتْنَةٍ تُرَاقِ بِسَبَبِهَا الدَّمَاءَ، وَتُهْتَكُ عِنْدَهَا الْحُرْمُ، وَفِي هَذَا التَّشْيِيطِ نَزْعٌ لِيَدِهِ مِنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ...»^(٢).

وقد تكاثرت الآثار والأقوال عن السلف في النهي عن ذلك وذمه:

فَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْهَوْنَنَا عَنِ سَبِّ الْأُمَرَاءِ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنْ أُولَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعَنَهُ عَلِيُّ إِمَامَهُ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضَّبْعِيِّ قَالَ: «لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيقَ الْبَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، وَاخْتَلَفْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي، فَسَبَّيْتُ الْحِجَّاجَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «لَا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ»^(٥).

وَعَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ عَلَى الْأُئِمَّةِ، فَإِنَّ الطَّعْنَ

(١) رواه أحمد ح (١٩٤١٥).

(٢) السيل الجرار (٤/٤١٥).

(٣) رواه ابن حبان في الثقات (٥/٣١٤-٣١٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٢١/٢٨٧).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٧/٤٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٢١/٢٨٧).

(٥) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٨/١٠٤).

عليهم هي الحالقة، حالقة الدين ليس حالقة الشعر، ألا إن الطعانين هم الخائبون وشرار الأشرار»^(١).

فالواجب النصح سرا، وليس الطعن والتشهير، وبهذا جاءت السنة، فعن عياض بن عَمنم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ»^(٢).

قال الشوكاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن ينصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله»^(٣).

ولكنّ الخوارج لما اتبعوا الهوى وتنكبوا عن السنة، حرّفوا الدين.

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأخرجت الخوارج قتال الأئمة، والخروج عليهم بالسيف في قلب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٤).

فالإمام لا يُنكر عليه علانية، ولا يُسب، ولا يُشغّب عليه، ولكن يُنصح خفية، هذا هو جهاد أهل الحق، فإن كنت صادقا، مخلصا، محبا لوطنك، ولإمامك، وللناس، فانصح في السر، وابتغ وجه ربك، فهذا هو الجهاد، وقد سئل النبي ﷺ

(١) رواه ابن زنجويه في الأموال (١/٨٠).

(٢) رواه أحمد ح (١٥٣٣٣).

(٣) السيل الجرار (٤/٥٥٦).

(٤) إغاثة اللهفان (٢/٨١).

عن أفضل الجهاد؟ فقال: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»^(١).

وتأمل قوله ﷺ: «عِنْدَ إِمَامٍ»، وليس في الفضائيات، ولا في الإذاعات، ولا في مواقع الشبكات، ولا على المنابر، ولا في الصحف والمجلات، وهذا مع جور الإمام وظلمه، فكيف بالصالح العادل من الأئمة؟!

فالأمراء والولاة لهم حرمة ومكانة، لا يحل معها النيل منهم، ولا التشتت بهم، ولو أخطأوا، بل تحفظ مكانتهم، ويبذل لهم النصح سرا، ولا يشنع عليهم: فَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرِ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِيخَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بَرْدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْصَبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًا؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرِعِيَ إِبْلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَفِيهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ»^(٢).

وفي رواية قَالَ: «كُنْتُ فِيْمَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْثِ مُوتَةٍ، فَرَأَيْتُ مَدَدِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا سَيْفُهُ، فَحَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْجَيْشِ جُزُورًا لَهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ الْمَدَدِيُّ مِنْ جِلْدِهِ، فَوَهَبَ لَهُ، فَبَسَطَهُ فِي الشَّمْسِ عَلَى أَطْرَافِهِ، فَلَمَّا

(١) رواه أحمد ح (١٨٨٢٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٥٣).

جَفَّ اتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقَةِ، وَجَعَلَ لَهُ مِقْبَضًا، وَمَضَيْنَا حَتَّى لَقِينَا الرُّومَ، وَمَعَهُمْ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا وَمَعَهُمْ رُومِيٌّ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرٌ عَلَيْهِ سَيْفٌ مُذْهَبٌ وَسِلَاحُهُ مُذْهَبٌ فِيهِ الْجَوْهَرُ وَسَرَّجُهُ مُذْهَبٌ، قَالَ: فَجَعَلَ يُغْرِي بِالنَّاسِ، قَالَ: فَتَلَطَّفَ الْمَدَدِيُّ فَجَلَسَ لَهُ جَانِبَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ ضَرَبَ عُرْقُوبِيَّ فَرَسِهِ، فَتَقَعَدَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَخَرَّ عَنْهُ الرُّومِيُّ، وَعَلَاهُ الْمَدَدِيُّ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَأَخَذَ سَلْبَهُ فَأَتَى بِهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَعْطَاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ السَّلْبَ وَأَمْسَكَ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا خَالِدُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِالسَّلْبِ لِلْقَاتِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَقُلْتُ: فَلِمَ لَمْ تُعْطِهِ السَّلْبَ كُلَّهُ؟ قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ، قُلْتُ: لَتَرَدَّنَّهُ إِلَيْهِ، أَوْ لَأَعْرِفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، قَالَ عَوْفٌ: فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْمَدَدِيِّ، وَمَا فَعَلَ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا خَالِدُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَكْثَرْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا خَالِدُ، أَعْطِهِ السَّلْبَ كُلَّهُ، قَالَ فَوَلَّى خَالِدٌ لِيَفْعَلَ، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا خَالِدُ أَلَمْ أَفِ لَكَ بِمَا قُلْتُ لَكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ شَيْئًا، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي أَمْرًا؟ لَكُمْ صَفْوَةٌ وَعَلَيْهِمْ كَدْرُهُ، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ الرَّعِيَّةَ يَأْخُذُونَ صَفْوَةَ الْأُمُورِ، فَتَصِلُهُمْ أَعْطِيَانَهُمْ بَعِيرٍ نَكِدٍ، وَتُبْتَلَى الْوَلَاةُ بِمُقَاسَاةِ الْأُمُورِ وَجَمْعِ الْأَمْوَالِ عَلَى وُجُوهِهَا، وَصَرَفِهَا فِي وُجُوهِهَا، وَحِفْظِ الرَّعِيَّةِ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ،

(١) رواه أبو عوانة في مستخرجه ح (٦٦٥٣).

وَإِنْصَافٍ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ مَتَى وَقَعَ عَاقِبَةٌ أَوْ عَتَبٌ فِي بَعْضٍ ذَلِكَ تَوَجَّهَ عَلَى الْأُمَرَاءِ دُونَ النَّاسِ»^(١).

٨- الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم وقتالهم:

وهذا من أبرز صفات الخوارج، وبسببه سمووا بذلك، وهو فتنتهم الكبرى، وثمره مذهبهم الفاسد، فهم يخرجون بزعم إقامة الدين، ونشر العدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيفسدون في الأرض، ويهلكون الحرث والنسل. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن ذلك: «فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر»^(٣).

٩- مفارقة المسلمين في الدار جسدياً، أو معنوياً إذا لم يتمكنوا بأجسادهم:

الخوارج أعظم الناس مفارقة للمجتمع المسلم، وقد وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٤)، فهم مفارقون للمسلمين بأقوالهم، وأفعالهم، وعقائدهم.

(١) شرح مسلم (١٢/٦٥).

(٢) منهاج السنة (٣/٣٩١).

(٣) إعلام الموقعين (٣/١٢).

(٤) رواه البخاري ح (٣٦١١) ومسلم ح (٢٤١٥).

وهذا الأمر أول ما بدأ بعد التحكيم، وانسلاخهم من بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومبايعتهم رجلاً منهم يدعى: عبدالله بن وهب الراسبي، «فاجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق، قال شريح: نخرج إلى المدائن فنزل لها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا، فقال زيد بن حصين: إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجوا وخذانا مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهران، وتكتبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي»^(١).

قال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين،... خرجوا يتسللون وخذاناً؛ لئلا يعلم أحد بهم فيمنعواهم من الخروج فخرجوا من بين الأباء والأمهات والأعمام والعمات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزيئهم لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات»^(٢).

وأوجبوا لذلك الهجرة على أتباعهم، فعن سعيد بن جهمان قال: كنا نقاتل الخوارج وفينا عبد الله بن أبي أوفى، وقد لحق غلام له بالخوارج، وهم من

(١) تاريخ الطبري (٧٥/٥).

(٢) البداية والنهاية (١٠/٥٨١).

ذَلِكَ الشَّطِّ، وَنَحْنُ مِنْ ذَا الشَّطِّ، فَنَادَيْنَاهُ أَبَا فَيْرُوزَ أَبَا فَيْرُوزَ، وَيَحَكَ هَذَا مَوْلَاكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى؟ قَالَ: نَعَمْ الرَّجُلُ هُوَ لَوْ هَاجَرَ. قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ، قَالَ: قُلْنَا: يَقُولُ: نَعَمْ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ. قَالَ: فَقَالَ: أَهْجَرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»^(١).

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الْخَوَارِجُ تَمَيَّزُوا بِالْإِمَامِ وَالْجَمَاعَةِ وَالِدَّارِ، وَسَمَّوْا دَارَهُمْ دَارَ الْهَجْرَةِ، وَجَعَلُوا دَارَ الْمُسْلِمِينَ دَارَ كُفْرٍ وَحَرْبٍ»^(٢).

وقال: «الْخَوَارِجُ تَرَى السَّيْفَ، وَعِنْدَهُمْ كُلُّ دَارٍ غَيْرِ دَارِهِمْ فَهِيَ دَارُ كُفْرٍ»^(٣).

فاعتزال الخوارج لدار المسلمين وحكوماتهم، وتكوين دار وخلافة خاصة بهم بزعم ردة الغير، ومخالفتهم للشرع، وارتكابهم المعاصي، عقيدة قديمة متجددة بتجدد الخوارج، ولذلك أَلَّفَ بعض كبار كتَّاب عصرنا كتباً في جاهلية العصر، وأخرى حُشيت بالحكم بردة المجتمعات، والدعوة إلى اعتزالها، والسعي لتغيير حكامها، بما يوافق مشاربهم، حتى قال قائلهم:

«ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم»^(٤). وقال: «إن

هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم»^(٥). وقال: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت

(١) رواه أحمد ح (١٩١٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/١٣).

(٣) منهاج السنة (٤٦٥/٣).

(٤) في ظلال القرآن (٢١٢٢/٤).

(٥) في ظلال القرآن (٢٠٠٩/٤).

البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله»^(١).
 وقال أمرًا جماعته بالاعتزال: «إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض إلا
 بأن تنفصل هذه العصبة عقيدياً، وشعورياً، ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من
 قومها - حتى يأذن الله لها بقيام «دار إسلام» تعتصم بها - وإلا أن تشعر شعوراً
 كاملاً بأنها هي «الأمة المسلمة»، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما
 دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية، وأن تفاضل قومها على العقيدة والمنهج، وأن
 تطلب بعد ذلك من الله أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين»^(٢).

وقال في سبيل تحقيق ذلك: «لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء «الحزب
 الإسلامي» عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء
 تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها»^(٣).

والحقيقة أن وصف مجتمعاتنا بالجاهلية، وأنها غير إسلامية، واستسهال
 لحكم برده أهلها بذلك، تنكب عن الإسلام الحق من وجوه عدة:

الأول: لو فرضنا جدلاً أن المجتمع جاهلي فكيف نتعامل معه؟ نرجع لسنة
 نبينا ﷺ، فنبينا عاش في أول بعثته في مجتمع جاهلي، فهل سعى للانقلاب وأخذ
 الحكم؟ أم نشر التوحيد والسنة، ودعا الناس إلى عبادة ربه؟ وقد عرض عليه القرشيون
 الحكم فأبى أن يقبله، وهؤلاء يُشعلون الفتن ليتمكنوا من الحُكم والسلطة!!.

(١) في ظلال القرآن (٢/١٠٥٧).

(٢) في ظلال القرآن (٢/١١٢٥).

(٣) في ظلال القرآن (٣/١٤٥١).

ثانيا: قد أخبر نبينا ﷺ أن الناس يعودون إلى الجاهلية بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح وليس قبل ذلك.

ثالثا: عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»^(١). أي: أنها صارت دار إسلام لا يهاجر منها أبدا، وهذا إبطال لقولهم أنه لا يوجد اليوم مجتمع مسلم.

وأما ضابط دار الإسلام عند أهل السنة، فقد قال الإسماعيلي رَضِيَ اللَّهُ فِيهِ في معتقد أهل السنة: «ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر، مادام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين»^(٢).

فأهل السنة يعتبرون أن البلاد بلاد إسلام مادامت المساجد عامرة، والأذان مرفوعا، والصلاة قائمة، والمسلمون ممكنين من ولايتها، ولو كانت فيها معاصٍ ظاهرة، فهي بلاد إسلام، لا يقاتل أهلها، ولا تستحل محارمها، وإنما السعي في الإصلاح، والنصيحة بالحسنى، وقد ذكر النبي ﷺ شرار الحكام بقوله: «شِرَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تَبْغُضُونَهُمْ وَيَبْغُضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

وفي رواية: «أَلَا مِنْ وَلِيٍّ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٣).

(١) رواه البخاري ح (٢٧٨٣) ومسلم ح (٤٨٦٤).

(٢) اعتقاد أهل السنة ص (٥١).

(٣) رواه مسلم ح (١٨٥٥).

فما دامت الصلاة قائمة ظاهرة فالدار دار إسلام، والحاكم فيها لا ينازع ولا يخرج عن طاعته، مهما كان حاله في دينه وتعامله، ما دام اسم الإسلام عليه باقيا.

١٠- الجراءة على التكفير واستحلال الدماء:

وهذا نوع من أنواع الخروج عن الحق، وهو صفة بارزة في الخوارج.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في وصفهم: «هُم قَوْمٌ اسْتَحَلُّوا بِمَا تَأَوَّلُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَرُوا بِهِم بِالذُّنُوبِ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمُ السَّيْفَ، وَخَالَفُوا جَمَاعَتَهُمْ»^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَهُؤُلَاءِ أَصْلُ ضَلَالِهِمْ: اعْتِقَادُهُمْ فِي أُمَّةِ الْهُدَى وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنََّّهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الْعَدْلِ وَأَنََّّهُمْ ضَالُّونَ... ثُمَّ يَعُدُّونَ مَا يَرَوْنَ أَنَّهُ ظُلْمٌ عِنْدَهُمْ كُفْرًا. ثُمَّ يَرْتَبُونَ عَلَى الْكُفْرِ أَحْكَامًا ابْتَدَعُوهَا»، و«الْفَرْقُ الثَّانِي فِي الْخَوَارِجِ: أَنََّّهُمْ يُكْفَرُونَ بِالذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ بِالذُّنُوبِ اسْتِحْلَالُ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ دَارَ الْإِسْلَامِ دَارُ حَرْبٍ، وَدَارُهُمْ هِيَ دَارُ الْإِيمَانِ»^(٢).

وقال عنهم: «شَرُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَرًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، لَا الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَهِدِينَ فِي قَتْلِ كُلِّ مُسْلِمٍ لَمْ يُوَافِقْهُمْ، مُسْتَحْلِينَ لِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ، مُكْفَرِينَ لَهُمْ، وَكَانُوا مُتَدَيِّنِينَ بِذَلِكَ لِعَظَمِ جَهْلِهِمْ وَبِدَعَتِهِمُ الْمُضِلَّةِ»^(٣).

(١) الاستذكار (٢/٤٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧ و١٩/٧٣).

(٣) منهاج السنة (٥/٢٤٨).

وجرأة الخوارج على تكفير المسلمين والحكم بردتهم وسفك دمائهم عجيبة، فهم قد كفروا سادات الناس في زمانهم الصحابة الأكارم عليهم رضوان الله، فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: «مَرَّ سَعْدُ بْنُ جُرْجَلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ: هَذَا مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرِ. فَقَالَ سَعْدٌ: كَذَبْتَ، بَلْ أَنَا قَاتِلُ أُمَّةِ الْكُفْرِ»^(١).

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هَلَالٍ قَالَ: غَزَا عُمَارَةُ بْنُ قُرْصِ اللَّيْثِيِّ، غَزَاةً لَهُ، فَمَكَثَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْأَهْوَازِ سَمِعَ صَوْتَ أَدَانٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لِي عَهْدٌ بِصَلَاةٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ زَمَانٍ، وَقَصَدَ نَحْوَ الْأَذَانِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا هُوَ بِالْأَزَارِقَةِ، قَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ: وَمَا أَنْتُمْ إِخْوَانِي؟، قَالُوا: أَنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ، لَتَقْتُلَنَّكَ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ مِنِّي بِمَا رَضِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَأَيُّ شَيْءٍ رَضِيَ بِهِ مِنْكَ قَالَ: أَتَيْتُهُ وَأَنَا كَافِرٌ، فَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّهَ رَسُولُ اللَّهِ، فَخَلَّى عَنِّي، فَأَخَذُوهُ، فَقَتَلُوهُ»^(٢).

بل لم يتورعوا عن طفل ولا جارية، والحوادث في تاريخهم كثيرة فظيعة، ففي تاريخ الطبري: «إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتهددوه وأفرعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض - وكان سقط عنه لما أفرعوه - فقالوا له: أفرعناك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك! فحدثنا عن

(١) تفسير ابن كثير (٤/١١٦) وعزاه لابن مردويه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ح (٨٥٥٩) قال الهيثمي في المجمع (١/٢٦): «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

أبيك بحديث سمعه من النبي ﷺ، لعل الله ينفعنا به! - فحدثهم بحديث الفتن -
فَقَالُوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرا،
قَالُوا: مَا تقول في عُثْمَانَ فِي أول خلافته وفي آخرها؟ قَالَ: إنه كَانَ محقاً فِي
أولها وفي آخرها، قَالُوا: فما تقول فِي علي قبل التحكيم وبعده؟ قَالَ: إنه أعلم
بِاللَّهِ مِنْكُمْ، وَأشد توقياً عَلَى دينه، وَأنفذ بصيرة. فَقَالُوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي
الرجال عَلَى أسمائها لا عَلَى أفعالها، وَاللَّهِ لنقتلنك قتلة مَا قتلناها أحداً، فأخذه
فكَتَفوه ثُمَّ أقبلوا بِهِ وبامرأته وَهِيَ حُبْلَى مُتَمِّمٌ ^(١) حَتَّى نزلوا تحت نخلٍ مَوَاقِرٍ ^(٢)،
فسقطت مِنْهُ رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بِهَا فِي فمه، فَقَالَ أحدهم: بغير حلها،
وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه، فمر به خنزير لأهل الذمة
فضربه بسيفه، فَقَالُوا: هَذَا فساد فِي الأرض، فَأَتَى صاحب الخنزير فأرضاه من
خنزيره، فلما رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ابن خباب قَالَ: لَئِن كُنتم صادقين فِيمَا أَرَى فما عَلَى
مِنْكُمْ بأس، إني لمسلم، مَا أَحَدْتُ فِي الإسلام حَدَثًا، وَلَقَدْ أَمْتُمُونِي، قلت:
لا روع عَلَيْك! فجاءوا بِهِ فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه فِي الماء، وأقبلوا إِلَى
المرأة، فَقَالَتْ: إني إنما أنا امرأة، أَلَا تتقون الله! فبقروا بطنها» ^(٣).

وفيه: «وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز،
فأنتهم عيونهم ^(٤) أن عمر بن عبيد الله في أثرهم، وأن مصعب بن الزبير قد خرج

(١) أي: حامل قد أتمت عدة الحمل تسعة أشهر.

(٢) أي: كثير الثمر.

(٣) (٨٢/٥).

(٤) أي: جواسيسهم.

من البصرة إليهم، فقام فيهم الزبير فحمد الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ مِنْ سَوْءِ الرَّأْيِ وَالْحَيْرَةِ وَفُوعُكُمْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الشُّوكَتَيْنِ، انْهَضُوا بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ. فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ جُوخَى ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرِ وَأَنَاتِ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دَجَلَةَ حَتَّى خَرَجَ عَلَى الْمَدَائِنِ، وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْتَدُ بْنُ نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ، فَشَنُوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ، يَقْتُلُونَ الْوُلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ، وَيَقْرُونَ الْحِبَالِيَّ، وَهَرَبَ كَرْدَمُ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِاطِ فَوْضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ، فَقَتَلُوا أُمَّ وَلَدِ لَرَبِيعَةَ بْنِ مَاجِدٍ، وَقَتَلُوا بِنَانَةَ ابْنَةَ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ، وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتْ الْقُرْآنَ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، فَلَمَّا غَشَوْهَا بِالسَّيْفِ قَالَتْ: وَيْحَكُمُ! هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يَقْتُلُونَ النِّسَاءَ! وَيْحَكُمُ! تَقْتُلُونَ مَنْ لَا يَبْسُطُ إِلَيْكُمْ يَدًا، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا! أَتَقْتُلُونَ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مَبِينٍ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتُلُوهَا، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا! فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْجَبَكِ جَمَالُهَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَنَنْتِ، فَانصُرِي الْآخَرَ عَنْهُمْ وَتَرَكِيهِمْ، فَظَنْنَا أَنَّهُ فَارَقَهُمْ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا، فَقَالَتْ رِبِطَةَ بِنْتُ يَزِيدَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَتَرُونَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ! تَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَمَنْ لَمْ يَذَنْبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا! ثُمَّ انصُرْفَتْ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الرُّوَاعِ بِنْتُ إِيَّاسَ بْنِ شَرِيحِ الْهَمْدَانِيِّ، وَهِيَ ابْنَةُ أُخْيَهِ لِأُمِّهَا، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضْرَبُوهَا عَلَى رَأْسِهَا، بِالسَّيْفِ»^(١).

وعند ابن الأثير: «أَنَّ الْخَوَارِجَ، أَخَذُوا رَجُلًا اسْمُهُ سِمَاكُ بْنُ يَزِيدَ وَمَعَهُ بِنْتُ لَهُ، فَأَخَذُوهَا لِيَقْتُلُوهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ! إِنَّ أَبِي مُصَابٌ فَلَا تَقْتُلُوهُ،

وَأَمَّا أَنَا فَجَارِيَةٌ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ فَاحِشَةً قَطُّ، وَلَا آذَيْتُ جَارَةً لِي، وَلَا تَطَلَّعْتُ وَلَا تَشَرَّفْتُ قَطُّ. فَلَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهَا سَقَطَتْ مَيِّتَةً، أَوْ مَغْشِيَا عَلَيْهَا، فَقَطَّعُوهَا بِأَسْيَافِهِمْ، قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ ظَنِرُ لَهَا نَصْرَانِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْخَوْزَنَقِ^(١) كَانَتْ مَعَهَا حِينَ قَتَلْتُ، وَبَقِيَ سِمَاكٌ مَعَهُمْ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَيَّ الصَّرَاةَ، فَاسْتَقْبَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَنَادَاهُمْ: اعْبُرُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ خَبِيثٌ. فَضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ^(٢).

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: «إني قد أدركت صدر الإسلام... ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج عن بيت الله الحرام، وإذن لعاد أمر الإسلام جاهليَّة، حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهليَّة، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل الا وهو يدعوا الى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يُقاتل بعضهم بعضًا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح الرجل المؤمن خائفًا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك، أو مع من يكون»^(٣).

ولما مشى المهلب إلى قتال الخوارج الأزارقة خطب جنده فقال: «يا أيها الناس، إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتتوكم في دينكم، وسفكوا دماءكم...»^(٤).

(١) «الخَوْزَنَقُ: بفتح أوله وثانيه، وراء ساكنة، ونون مفتوحة، وآخره قاف: بلد بالمغرب، وأيضاً:

قرية على نصف فرسخ من بلخ». معجم البلدان (٤٠١/٢).

(٢) الكامل في التاريخ (٣/٣٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٥٥٤).

(٤) جمهرة خطب العرب (٢/٤٤٨).

وقال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن اختيار علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه التوجه إلى قتال الخوارج، والعدول عن قتال أهل الشام: «فاجتمع الرأي على هذا، وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضا؛ إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقا وشاما، ولم يتركوا طفلا ولا طفلة ولا رجلا ولا امرأة؛ لأن الناس عندهم قد فسدوا فسادا لا يصلحهم إلا القتل جملة»^(١).

بل يستحلون حرمة المساجد لذلك، ويقدمون على الخيانة والاعتقالات فيها، وليس أعظم جرما من الشقي ابن ملجم حين أقدم على قتل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في فجر الجمعة وهو في المسجد صائما في رمضان، والقصة فيها عبر وبيان لنهج الخوارج في السرية، وتكاتم الأمور، والتآمر على الاعتقالات وغير ذلك.

فعن إسماعيل بن راشد قال: «كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم،

ثم ذكروا إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟! كأنوا من خير الناس وأكثرهم صلاة، وكانوا دعاة الناس إلى ربهم، لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الصلاة فقتلناهم فأرخنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا. فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل

(١) البداية والنهاية (١٠/٥٨٥).

مِنْهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ فَسَمُّوْهَا، وَاتَّعَدُوا لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ أَنْ يُبَيِّتَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ فِي بَلَدِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ. فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَسَارَ إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا، وَكَتَمَ أَمْرَهُ حَتَّى عَنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ هُمْ بِهَا، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ الرَّبَابِ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قَتْلَهُمْ يَوْمَ النَّهْرِ وَإِنْ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: قَطَامِ بِنْتُ الشَّجْنَةِ. قَدْ قَتَلَ عَلِيٌّ يَوْمَ النَّهْرِ وَإِنْ أَبَاهَا وَأَخَاهَا، وَكَانَتْ فَاتِقَةَ الْجَمَالِ مَشْهُورَةً بِهِ، وَكَانَتْ قَدْ انْقَطَعَتْ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ تَتَعَبَّدُ فِيهِ، فَلَمَّا رَأَاهَا ابْنُ مُلْجَمٍ سَلَبَتْ عَقْلَهُ، وَنَسِيَ حَاجَتَهُ الَّتِي جَاءَ لَهَا، وَخَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهَا، فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَوَاحِدًا وَقَيْنَةً، وَأَنْ يَقْتُلَ لَهَا عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: فَهَوَ لَكَ، وَوَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ إِلَّا قَتَلَ عَلِيٌّ. فَتَرَوُجَهَا وَدَخَلَ بِهَا، ثُمَّ شَرَعَتْ تُحَرِّضُهُ عَلَى ذَلِكَ^(١)، وَنَدَبَتْ لَهُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهَا مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ يُقَالُ لَهُ: وَرَدَانُ. لِيَكُونَ مَعَهُ رِذَاءً، وَاسْتَمَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ رَجُلًا آخَرَ يُقَالُ لَهُ: شَيْبُ بْنُ بَجْرَةَ الْأَشْجَعِيِّ الْحُرُورِيِّ. قَالَ لَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَتَلَ عَلِيٌّ. فَقَالَ: ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِذَا، كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَكْمُنُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا خَرَجَ لِمَصَلَاةِ الْغَدَاةِ شَدَدْنَا عَلَيْهِ فَقَتَلْنَاهُ، فَإِنْ نَجَوْنَا شَفِينَا أَنْفُسَنَا وَأَدْرَكْنَا ثَارَنَا، وَإِنْ قُتِلْنَا

(١) في البداية والنهاية (١١/١٧): «فَلَمَّا بَنَى بِهَا قَالَتْ لَهُ: يَا هَذَا، قَدْ فَرَّغْتَ مِنْ حَاجَتِكَ، فَأَفْرُغْ مِنْ حَاجَتِي». وتأثير النساء اللواتي يتبنين مذهب الخوارج على الرجال كثير عبر التاريخ، فهذا «عمرانُ بْنُ حِطَّانِ الْخَارِجِيِّ كَانَ أَوْلَى مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَتَرَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْخَوَارِجِ حَسَنَةً جَمِيلَةً جِدًّا فَأَحَبَّهَا، وَكَانَ هُوَ دَمِيمَ الشَّكْلِ، فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى السُّنَّةِ فَأَبَتْ، فَارْتَدَّ مَعَهَا إِلَى مَذْهَبِهَا». البداية والنهاية (١٢/٣٥٢).

فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا. فَقَالَ: وَيْحَكَ لَوْ غَيْرَ عَلِيٍّ لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ، قَدْ عَرَفْتُ سَابِقَتَهُ فِي الإِسْلَامِ وَقَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا أَجِدُنِي أَنْشِرِحُ صَدْرًا لِقَتْلِهِ. فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَتَلَ أَهْلَ النَّهْرَوَانَ؟ فَقَالَ: بَلَى قَالَ: فَتَقْتُلُهُ بِمَنْ قَتَلَ مِنْ إِخْوَانِنَا. فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ لَأَيِّ. وَدَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَوَاعَدَهُمْ ابْنُ مُلْجَمٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ، وَقَالَ: هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْتُ أَصْحَابِي يَقْتُلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِيهَا صَاحِبَهُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ. ثُمَّ جَاءُوا إِلَى قَطَامٍ، وَهِيَ امْرَأَةُ ابْنِ مُلْجَمٍ، فَدَعَتْ لَهُمْ بِعَصَبِ الْحَرِيرِ فَعَصَبَتْهُمْ بِهَا، وَكَانَتْ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ؛ وَهُمْ ابْنُ مُلْجَمٍ وَوَرْدَانُ وَشَيْبٌ، وَهُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَى سُيُوفِهِمْ، فَجَلَسُوا مُقَابِلَ السُّدَّةِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا عَلِيٌّ، فَلَمَّا خَرَجَ جَعَلَ يُنْهَضُ النَّاسَ مِنَ النَّوْمِ إِلَى الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ. فَثَارَ إِلَيْهِ شَيْبٌ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَهُ فَوَقَعَ فِي الطَّاقِ، فَضْرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ بِالسَّيْفِ عَلَى قَرْنِهِ، فَسَالَ دَمُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمَّا ضْرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ قَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، لَيْسَ لَكَ يَا عَلِيُّ وَلَا لِأَصْحَابِكَ. وَجَعَلَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وَنَادَى عَلِيٌّ: عَلَيْكُمْ بِهِ. وَهَرَبَ وَرْدَانُ، فَأَذْرَكَهُ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ فَقَتَلَهُ، وَذَهَبَ شَيْبٌ فَنَجَا بِنَفْسِهِ وَفَاتَ النَّاسَ، وَمُسِكَ ابْنُ مُلْجَمٍ، وَقَدَّمَ عَلِيٌّ جَعْدَةَ بِنَ هُبَيْرَةَ بِنَ أَبِي وَهَبٍ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَحَمَلَ عَلِيٌّ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ ابْنُ مُلْجَمٍ، فَأَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ مَكْتُوفٌ، فَبَحَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَلَمْ أَحْسِنُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَرَّ خَلْقِهِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَا

أَرَاكَ إِلَّا مَقْتُولًا بِهِ، وَلَا أَرَاكَ إِلَّا مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَطْعَمُوهُ وَاسْقُوهُ وَأَحْسِنُوا أَسَارَهُ، فَإِنْ مِتُّ فَأَقْتُلُوهُ وَلَا تُمَثِّلُوا، وَإِنْ عِشْتُ فَأَنَا أَعْلَمُ كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ»^(١).

فمات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متأثراً بالضربة بعد يومين.

وهذا حال الخوارج في الاغتيالات والفساد على مر العصور، ولا تجني البلاد منهم إلا الترويع والتقتيل، والذبح والتهجير، والقهر والتدمير، يشعلونها بالفتن، ويسلمونها للمحن، ويغررون بالجهال، ويفتنونهم بمعسول المقال.

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ مُسْرِحٍ أَحَدُ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصُّفْرِيَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الصُّفْرِيَّةِ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَمَعَهُ شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ، وَالبَطِينُ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ، وَاتَّفَقَ حَجُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَهَمَّ شَيْبُ بِالْفَتْكِ بِهِ، فَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ ذَلِكَ مِنْ خَبْرِهِ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الْحَجِّ أَنْ يَتَطَلَّبَهُمْ، وَكَانَ صَالِحُ بْنُ مُسْرِحٍ هَذَا يُكْثِرُ الدُّخُولَ إِلَى الْكُوفَةِ وَالْإِقَامَةَ بِهَا، وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ دَارَا وَأَهْلِ الْمَوْصِلِ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ، وَيَقْصُّ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مُصَفَّرًا كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، وَكَانَ إِذَا قَصَّ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَحُثُّ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ، ثُمَّ يَتَرَحَّمُ عَلَى الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِمَا ثَنَاءً حَسَنًا، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَسُبُّهُ وَيَنَالُ مِنْهُ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ جِنْسِ مَا كَانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ مِنْ فَجْرَةِ

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٤-١٤٥)، والبداية والنهاية (١١/ ١٣-١٥).

أَهْلَ الْأَمْصَارِ، ثُمَّ يَحْضُضُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ الْخَوَارِجِ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلنَّكَارِ الْمُنْكَرِ الَّذِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ وَذَاعَ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، وَيَذُمُّ الدُّنْيَا
وَأَمْرَهَا وَيُصَغِّرُهَا، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ»^(١).

فهؤلاء الخوارج هموا بقتل أمير المؤمنين وهو في الحج، فلم يراعوا حرمة
مكان ولا زمان، وقد كان أهل الجاهلية يلقي أحدهم قاتل أبيه في الشهر الحرام
فلا يُهَجِّجُه ولا يتعرض له، ثم هؤلاء أيضا يدخلون البلدان بزعم تعليم الدين
والفقه، ويجتمعون بأصحابهم في مجالس خاصة، ويبثون شبههم، ويحرضونهم
على الخروج والفتن.

١١ - سوء الظن:

الخوارج لسوء اعتقادهم يسيئون الظن بالمسلمين، ويحملون أمورهم على
أسوأ المحامل، ولا يثقون بأي مسلم لا يكون على مذهبهم، بل يعادونه، ويسعون
في إيذائه، وهذا الأمر بدأ مع أولهم، حين أساء الظن برسول الله ﷺ في قسمته
واتهمه بأنه ما أراد بذلك وجه الله تعالى، ومما يشهد لذلك من تاريخهم:

عن زياد بن النضر الحارثي، أن عليا بعث أربعمئة رجل، عليهم
شريح بن هانئ الحارثي، وبعث معهم عبد الله بن عباس، وهو يصلي بهم،
ويلي أمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص
في أربعمئة من أهل الشام، حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح، وكان
عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به،

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٥١-٢٥٢).

وَلَا بِمَارِجِعِ بِهِ، وَلَا يَسْأَلُهُ أَهْلُ الشَّامِ عَنْ شَيْءٍ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِذَا جَاءَ رَسُولَ عَلِيٍّ جَاءُوا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلُوهُ: مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَإِنْ كَتَمَهُمْ ظَنُّوا بِهِ الظُّنُونَ وَقَالُوا: مَا نَرَاهُ كَتَبَ إِلَّا بِكَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَا تَعْقِلُونَ؟ أَمَا تَرَوْنَ رَسُولَ مُعَاوِيَةَ يَجِيءُ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صِيَاخٌ، وَأَنْتُمْ عِنْدِي كُلِّ يَوْمٍ تَظُنُّونَ فِيَّ الظُّنُونَ؟»^(١).

بل بلغ ببعضهم سوء الظن، أن من يأتيهم مهاجرا إليهم أن يمتحنوه، بأن يسلموا إليه أسيرا من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمره بقتله، فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله، قالوا: هذا منافق ومشرك، وقتلوه.

١٢- السرية والتكتم في الدعوة وغيرها، والبعد عن أنظار ولاة الأمر:

من صفات أهل الباطل التكاتم والتجمعات السرية، ومن صفات أهل الحق الظهور والعلائية، فلا يستخفي إلا صاحب باطل لا يريد انكشاف حاله لكل أحد، وقد وصف النبي ﷺ أصحاب الحق الناجين بقوله: «عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

كما حذر من السرية وأمر بالعلائية:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، وَآتِ الزَّكَاةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَحُجِّجِ الْبَيْتَ، وَاعْتَمِرْ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ، وَعَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ، وَإِيَّاكَ وَالسِّرَّ»^(٣).

(١) تاريخ الطبري (٥/٦٧)، والكامل (٢/٦٨١).

(٢) رواه مسلم ح (١٩٢٣).

(٣) رواه الطحاوي في المشكل ح (٢٦٥٨)، والحاكم (١/٥١)، وابن أبي عاصم في السنة ح (١٧٠).

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ بِشَيْءٍ دُونَ الْعَامَّةِ فَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالَةٍ»^(١).

وفي رواية: «مَا أَنْتَجَى قَوْمٌ فِي دِينِهِمْ دُونَ جَمَاعَتِهِمْ إِلَّا كَانُوا عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالَةٍ»^(٢).

فالشر والضلال، إنما يُرسم في الظلام:

«كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ صِفْ لِي الْفِتْنَةَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهَا رَأْيِي الْعَيْنَ، فَكَتَبَ لَهُ: لَوْ كُنْتُ شَاعِرًا لَوَصَفْتُهَا لَكَ فِي شِعْرِي، وَلَكِنِّي أَصِفُهَا لَكَ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَرَأْيِي: الْفِتْنَةُ تُلَقَّحُ بِالنَّجْوَى، وَتُنْتَجُ بِالشُّكْوَى»^(٣).

١٣- الأخذ بالمتشابه من الأدلة، وترك المحكم، وكثرة الخصومة والجدل:

الأخذ بالمتشابه وترك المحكم علامة استحكام الهوى، وكثرة الخصومة والجدل علامة الغرور واستحكام الجهل، وقد جاء الشرع بالإيمان بالمحكم ورد علم المتشابه إلى عالمه.

قال الطحاوي رضي الله عنه: «مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عِبْرَتًا وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ»^(٤).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

(١) رواه اللالكائي في الاعتقاد ح (٢٥١).

(٢) رواه أحمد في الزهد ح (١٦٨٧).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٠١/١).

(٤) العقيدة الطحاوية ص (١٥٣).

ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُّتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ»^(١).

والجدال والخصومة واتباع المتشابه سمة ظاهرة في الخوارج:

ويدل على ذلك قوله ﷺ في وصفهم: «قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ»^(٢).
وقوله ﷺ: «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ...»^(٣).

فهم أهل منطق وبلاغة يزينون القول، ويستدلون بالقرآن.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَانْتَحَلَتْ الْخَوَارِجُ كِتَابَ اللَّهِ... وَخَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي أَمَرَ الْقُرْآنُ بِاتِّبَاعِهَا وَكَفَرُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَ الْقُرْآنُ بِمُؤَالَاتِهِمْ... وَصَارُوا يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِمَعْنَاهُ وَلَا رُسُوخٍ فِي الْعِلْمِ، وَلَا اتِّبَاعٍ لِلْسُّنَّةِ، وَلَا مُرَاجَعَةٍ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ»^(٤).

ولذلك لا يجادلون ولا يناظرون، وإنما تبين لهم السنة، وتقام عليهم الحجة، وتزال عنهم الشبهة.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ وَاللَّالِكَائِيُّ فِي السُّنَّةِ عَنِ

(١) رواه البخاري ح (٤٥٤٧) ومسلم ح (٦٨٦٧).

(٢) رواه أحمد ح (١٣٣٣٨) وأبوداود ح (٤٥٦٧).

(٣) رواه البخاري ح (٣٦١١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢١٠/١٣).

عمر بن الخطاب قَالَ: «سَيَأْتِي نَاسٌ يَجَادِلُونَكُمْ بِشَبَهَاتِ الْقُرْآنِ فَخَذُوهُمْ بِالسَّنَنِ، فَإِنْ أَضْحَابَ السَّنَنِ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَرْسَلَهُ إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِمْ فَخَاصِمِهِمْ وَلَا تَحَاجِمِهِمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ ذُو وُجُوهِ، وَلَكِنْ خَاصِمِهِمْ بِالسَّنَةِ».

وَأَخْرَجَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْهُمْ، فِي بَيُوتِنَا نَزَلَ، قَالَ: صَدَقْتَ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهِ، نَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِمِهِمْ بِالسَّنَنِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا»، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَحَاجِمَهُمْ بِالسَّنَنِ فَلَمْ يَبْقُ بِأَيْدِيهِمْ حِجَّةٌ».

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَذَاكِرُونَ الْحَدِيثَ فَقَالَ رَجُلٌ: دَعَوْنَا مِنْ هَذَا وَجِيئُونَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ عِمْرَانُ: «إِنَّكَ أَحَقُّ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الصَّلَاةَ مُفَسَّرَةً، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الصِّيَامَ مُفَسَّرًا، إِنْ الْقُرْآنَ أَحْكَمَ ذَلِكَ، وَالسَّنَةَ تُفْسِرُهُ»^(١).

وهذا الذي كان عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

قال السجزي رحمه الله: «وقال الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله الرجل يكون عالمًا بالسنة يجادل عليها؟ قال: لا، يخبر بالسنة، فإن قُبلت منه وإلا أمسك».

وقال العباس بن غالب الهمداني الوراق: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا

(١) مفتاح الجنة ص (٥٩).

عبد الله: أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه أرد عليه؟ فقال: لا تنصب نفسك لهذا، قال: أخبر بالسنة ولا تخاصم. فأعدت عليه القول، فقال: ما أراك إلا مخاصماً^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الجدل فلا يُدعى به، بل هو من باب دفع الصائل، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن»^(٢).

فمن الخطأ فتح باب المناظرات والجدال مع أهل الشبه، لأنهم يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، وقصدتهم الدعوة إلى منهجهم، والقلوب ضعيفة، والشبه خطافة، فالواجب «فأحذروهم».

١٤- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان:

وهذا وصف النبي ﷺ للخوارج:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «... يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَيْتَ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ أَعْظَمِ مَا ذَمَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْخَوَارِجَ قَوْلُهُ فِيهِمْ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»^(٤).

(١) رسالة السجزي ص (٣٦٦).

(٢) الرد على المنطقيين ص (٤٦٨).

(٣) رواه البخاري ح (٣٣٤٤) ومسلم ح (٢٤١٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٢٨).

وقال رَضِيَ اللَّهُ: «وَهَذَا نَعْتُ سَائِرِ الْخَارِجِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِإِعْتِقَادِهِمْ أَنََّّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ؛ لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ شَرٌّ مِنْ غَيْرِهِ»^(١).

فالخوارج قوتهم وشوكتهم وشرهم في صدور المسلمين، وتقدم معنا بعض شواهد التاريخ على ذلك.

١٥- الغلظة والشدة والجفاء:

وهذا ظاهر في تعاملهم مع أنفسهم، حيث شقوا عليها بعبادات تنطعوا فيها، وخالفوا بها السنة، وفي تعاملهم مع غيرهم حيث التكفير، والقتل، وعدم الرحمة حتى للأطفال الذين في بطون الأمهات، حيث يبغرون البطون ويقتلونهم.

وفظاظه الرجل الذي طعن في قسمة النبي رَضِيَ اللَّهُ ظاهرة، وقد جاء في وصفه: «فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدٌ»^(٢).

١٦- أنهم أهل دنيا:

وهذا ظاهر من صنيع أولهم، حيث اعترض على رسول الله رَضِيَ اللَّهُ على قسمة الدنيا. قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ: «كَانَ مَبْدُوهُمْ بِسَبَبِ الدُّنْيَا حِينَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَكَأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي عُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةَ أَنَّهُ لَمْ يَعْدِلْ فِي الْقِسْمَةِ، فَفَاجَأُوهُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

(٢) رواه البخاري ح (٣٣٤٤) ومسلم ح (٢٤١٥).

بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ - وَهُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، بَقَرَ اللَّهُ خَاصِرَتَهُ - اَعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ خَبْتُ وَخَسَرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُونِي». فَلَمَّا قَفَا الرَّجُلُ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ فِي قَتْلِهِ، فَقَالَ: «دَعُهُ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا - أَي: مِنْ جَنْسِهِ - قَوْمٌ يَحْتَقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ».

ثُمَّ كَانَ ظُهُورُهُمْ أَيَّامَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَتْلُهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ، ثُمَّ تَشَعَّبَتْ مِنْهُمْ شُعُوبٌ وَقَبَائِلٌ وَأَرَاءٌ وَأَهْوَاءٌ وَمَقَالَاتٌ وَنَحْلٌ كَثِيرَةٌ مُتَشِيرَةٌ^(١).

وذكر في البداية والنهاية أنهم لما قتلوا عثمان رضي الله عنه وهم في الدار: «ثُمَّ مَالَ هَؤُلَاءِ الْفَجْرَةَ عَلَى مَا فِي الْبَيْتِ فَنَهَبُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَادَى مُنَادِيَهُمْ: أَيَحِلُّ لَنَا دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ لَنَا مَالُهُ! فَانْتَهَبُوهُ...»

ثُمَّ تَنَادَى الْقَوْمُ: أَنْ أَدْرِكُوا بَيْتَ الْمَالِ لَا تُسْتَبِقُوا إِلَيْهِ. فَسَمِعَهُمْ حَفَظَةُ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالُوا: يَا قَوْمُ النَّجَاءِ النَّجَاءُ! فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَصْدُقُوا فِيمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ قَصْدَهُمْ قِيَامُ الْحَقِّ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ادَّعَوْا أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَامُوا لِأَجْلِهِ، وَكَذَّبُوا، إِنَّمَا قَصْدُهُمُ الدُّنْيَا، فَانْهَزُمُوا، وَجَاءَ الْخَوَارِجُ فَأَخَذُوا مَالَ بَيْتِ الْمَالِ وَكَانَ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جَدًّا^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٢).

(٢) (٣١٦/١٠).

وقال ابن حجر: «وَتَرَجَّمَ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانٌ أَنَّ سَبَبَ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ كَانَ بِسَبَبِ الْأَثَرَةِ فِي الْقِسْمَةِ مَعَ كَوْنِهَا كَانَتْ صَوَابًا فَخَفِيَ عَنْهُمْ ذَلِكَ»^(١).

وقد أدخل الإمام مسلم رحمه الله تعالى الخوارج وصفاتهم في كتاب الزكاة، ولعله يشير إلى هذا المعنى.

و«أتى رجلٌ من الخوارج الحسنَ البصري فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال: هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: حدثني عن السلطان أيمنك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة؟ قال: لا، قال: فأراه إنما منعك الدنيا فقَاتلته عليها»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَثِيرٌ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَى وُلاةِ الْأُمُورِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُنَازِعَهُمْ مَعَ اسْتِثْارِهِمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْاسْتِثْارِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَكُونُ لَوْلِيِّ الْأَمْرِ ذَنْبٌ أُخْرَى، فَيَبْقَى بُغْضُهُ لِاسْتِثْارِهِ يُعْظَمُ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، وَيَبْقَى الْمُقَاتِلُ لَهُ ظَانًّا أَنَّهُ يُقَاتِلُهُ لِيَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّكَهُ عَلَيْهِ طَلَبُ غَرْضِهِ: إِمَّا وَلايَةٌ، وَإِمَّا مَالٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: وذكر

(١) فتح الباري (٣١/١٢).

(٢) البصائر والذخائر (١٥٦/١).

منهم: «وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا: إِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ: وَإِنْ مَنَعَهُ سَخِطَ». فَاِذَا اتَّفَقَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ شُبُهَةٌ وَشَهْوَةٌ، وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ شَهْوَةٌ وَشُبُهَةٌ قَامَتِ الْفِتْنَةُ»^(١).

١٧- الطعن في العلماء وصرف الشباب عن مجالسهم:

الخوارج في الغالب لم يتلقوا العلم عن العلماء، وإنما يعتمدون على فهمهم، وما يميله عليهم كبارؤهم من شبه وتأويلات توافق مشربهم، فيبعدونهم عن العلماء بصوارف عدة، واتهامات وتشويه، وألقاب وقذح، وأوصاف مُنفرّة، يصدون بها أتباعهم عن الحق وأهله، وسبب ذلك أن الشباب إذا أخذوا عن العلماء، والتفوا حولهم، رغبة في العلم والتعلم، جرّهم ذلك إلى طريق الاستقامة والسنة الواضحة التي تكشف عوار الخوارج، وتهدم أصولهم ومذهبهم، فينفض عنهم الأتباع، ويتنشر بغضهم في الناس.

والتحذير من العلماء ومن مجالستهم والاستماع لهم سمة للخوارج في كل الأزمان. جاء في قصة ذهاب ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج: قال عبد الله بن شدّاد: «فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكُوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: قَوْمٌ خَصِمُونَ، فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا تَوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللَّهِ»^(٢).

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٤١).

(٢) رواه أحمد ح (٦٥٦).

ومما يوضح هذا الباب ما قاله الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند غياب العلماء أو إهمالهم: «ثُمَّ لَا يَبْعَدُ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ نَحْلِ مُبْتَدَعَةٍ وَمَذَاهِبِ مُخْتَرَعَةٍ، يُرَوِّقُونَ كَلَامًا مُمَوَّهَاً، وَيَزْخَرُونَ مَذْهَبًا مُشَوَّهَاً، يَخْلِبُونَ بِهِ قُلُوبَ الْأَعْمَارِ، وَيَعْتَصِدُونَ عَلَى نُصْرَتِهِ بِالسَّفَلَةِ الْأَشْرَارِ، فَيَضُبُّ النَّاسَ إِلَيْهِمْ، وَيَنْعَطِفُوا عَلَيْهِمْ بِخِلَابَةِ كَلَامِهِمْ وَحُسْنِ أَلْفَاظِهِمْ، مَعَ أَنْ لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ، وَلِكُلِّ مُسْتَحْدَثٍ صَبُوءَةٌ، فَتَصِيرُ حِينًا ذُ الْبِدْعِ فَاشِيَةِ، وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ وَاهِيَةِ، ثُمَّ يُفْضِي بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَى التَّحْزِبِ وَالْعُصْبَةِ، فَإِذَا رَأَوْا كَثْرَةَ جَمْعِهِمْ، وَقُوَّةَ شَوْكَتِهِمْ، دَاخَلَهُمْ عِزُّ الْقُوَّةِ، وَنُخُوَّةُ الْكَثْرَةِ، فَتُضَافِرُ جِهَالُ نَسَاكِهِمْ وَفِسْقَةُ عُلَمَائِهِمْ بِالْمِيلِ عَلَى مُخَالِفِيهِمْ، فَإِذَا اسْتَبَّ لَهُمْ ذَلِكَ زَاخَمُوا السُّلْطَانَ فِي رِئَاسَتِهِ، وَقَبَّحُوا عِنْدَ الْعَامَّةِ جَمِيلَ سِيرَتِهِ، فَرُبَّمَا انْفَتَقَ مَا لَا يُرْتَقُ، فَإِنْ كَبَارَ الْأُمُورُ تَبَدُّوا صِغَارًا»^(١).

١٨- الغدر والإفساد:

وهذا دأب الخوارج في كل زمان ومكان، والواقع والتاريخ خير شاهد.
قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَحَمْسِينَ وَمِائَةً...
وَفِيهَا خَرَجَتْ الْخَوَارِجُ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ،... وَأَكْثَرَتِ الْخَوَارِجُ الْفَسَادَ فِي
الْبِلَادِ، وَقَتَلُوا الْحَرِيمَ وَالْأَوْلَادَ، وَأَذَوْا عَامَّةَ الْعِبَادِ»^(٢).
وأذكر في هذا قصتين، الأولى عن الغدر، والثانية عن الإفساد والتخريب
في الأرض.

(١) درر السلوك ص (١٢١).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٤٢٨).

جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمة: القائم أبي القاسم مُحَمَّد ابن المَهْدِيِّ صَاحِبِ الْمَغْرِبِ، العبيدي القرمطي الزنديق، الذي أَبَادَ عِدَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ يُرَاسِلُ قَرَامِطَةَ الْبَحْرَيْنِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِحْرَاقِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَصَاحِفِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ أَبُو يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادِ الْبَرْبَرِيِّ، وَكَانَ نَاسِكًا وَلَكِنَّهُ خَارِجِي، وَقَامَ مَعَهُ خَلْقٌ مِنَ السُّنَّةِ وَالصُّلَحَاءِ، وَكَادَ أَنْ يَتَمَلَّكَ الْعَالَمَ، وَرُكِّزَتْ بُنُودُهُمْ عِنْدَ جَامِعِ الْقَيْرَوَانَ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَيَبْدَأُ أَنْ أَصْفِرَانَ فِيهِمَا: نَصْرُ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، وَبِئْسَ لِمَخْلَدٍ فِيهِ اللَّهْمُ انْصُرْ وَلِيكَ عَلَيَّ مَنْ سَبَّ نَبِيَّكَ، وَخَطَبَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ فَحَضَّ عَلَى الْجِهَادِ، ثُمَّ سَارُوا وَنَازَلُوا الْمَهْدِيَّةَ، وَلَمَّا التَّقُوا وَأَيَقَنَ مَخْلَدٌ بِالنَّصْرِ تَحَرَّكَ نَفْسَهُ الْخَارِجِيَّةَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: انْكَشِفُوا عَنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانَ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُمْ عَدُوهُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَاسْتُشْهِدَ خَمْسَةَ وَثَمَانُونَ نَفْسًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ^(١).

فالخوارج لا يؤمن جانبهم.

وجاء في كتاب «نثر الدر في المحاضرات»: «كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ: فَرَأَيْتَهُ يَحْذِفُ قَنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحَصِيِّ، فَيَكْسِرُهَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَنَا - كَمَا تَرَى - شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا، أَغْرَمُهُمْ قَنْدِيلًا، قَنْدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ»^(٢).

وهذا فيه أن الخوارج يسعون في خراب المساجد، وتدمير بلدان المسلمين،

والإضرار بمصالحها.

(١) (١٥٢/١٥) - (١٥٤).

(٢) (١٥٣/٥).

١٩- الخروج عن بيعة الإمام القائم وعدم اعتقاد صحتها ومبايعة رجل منهم:

وهذا أمر ظاهر في الخوارج، حيث لا يدينون للحكام بالبيعة، بل لا يرون شرعية حكم رجل ليس منهم، وقد نبذوا بيعة أمير المؤمنين وخليفة وقته علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي، ونصبوه أميراً على أنفسهم، وهذا من أعظم أنواع الخيانة، حيث ينصب لصاحبها لواء غدر يوم القيامة، والبيعة لازمة في عنق كل مسلم.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي واجبة على كل مسلم لقوله: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، غير أنه مَنْ كان من أهل الحل والعقد والشهرة، فبيعته بالقول والمباشرة باليد؛ إن كان حاضراً، أو بالقول والإشهاد عليه إن كان غائباً، ويكفي مَنْ لا يُؤْبَهُ لَهُ ولا يُعْرَفُ: أن يعتقد دخوله تحت طاعة الإمام، ويسمع ويطيع له في السرّ والجهر، ولا يعتقد خلافاً لذلك، فإن أضمره فمات مات ميتة جاهلية؛ لأنه لم يجعل في عنقه بيعة»^(٢).

وقال البربهاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام براً كان أو فاجراً... هكذا قال أحمد بن حنبل»^(٣).

وقد جاء الوعيد في عدم اعتقاد ذلك، والترهيب من نقض البيعة:

(١) رواه مسلم ح (١٨٥١).

(٢) المفهم (٤/٤٤).

(٣) شرح السنة ص (٥٦).

فَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرُحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلَسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

قال ابن تيمية رحمته الله: «وَهَذَا حَدَّثَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ لَمَّا خَلَعُوا طَاعَةَ أَمِيرٍ وَقَتَهُمْ يَزِيدَ مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ مَا كَانَ، ثُمَّ إِنَّهُ اقْتَتَلَ هُوَ وَهُمْ، وَفَعَلَ بِأَهْلِ الْحَرَّةِ أُمُورًا مُنْكَرَةً.

فَعُلِمَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ دَلٌّ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ سَائِرُ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّهُ لَا يُخْرَجُ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُطِيعًا لِوُلاَةِ الْأُمُورِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رحمتهما الله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَضْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، وَفِي لَفْظٍ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَضْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٣).

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: «لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ،

(١) رواه مسلم ح (١٨٥١).

(٢) منهاج السنة (١/١١١).

(٣) رواه البخاري ح (٧٠٥٣ - ٥٠٥٤)، ومسلم ح (١٨٤٩).

ثُمَّ تَشْهَدَ، ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ عَذْرَةُ فُلَانٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعَذْرِ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَيَكُونَ صَيْلَمٌ^(١) بَيْنِي وَبَيْنَهُ^(٢).

والبيعة لا تكون إلا للإمام الموجود، المعلوم، الذي له سلطان وقدرة يستطيع أن يسوس بها الناس، لا لمجهول الحال والعين والمكان، ثم يدعي الخلافة، فيتهافت على بيعته السفهاء، ويخلعون البيعة الواجبة من أعناقهم!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ الْمَوْجُودِينَ الْمَعْلُومِينَ الَّذِينَ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى سِيَاسَةِ النَّاسِ لَا بِطَاعَةِ مَعْدُومٍ وَلَا مَجْهُولٍ، وَلَا مَنْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى شَيْءٍ أَصْلًا»^(٣).

قال الشيخ عبدالسلام البرجس رَحِمَهُ اللهُ: «وحجة هذا: أن مقاصد الإمامة التي جاء الشرع بها من إقامة العدل بين الناس، وإظهار شعائر الله تعالى، وإقامة الحدود، ونحو ذلك، لا يمكن أن يقوم بها معدوم لم يوجد بعد، ولا مجهول لا يعرف.

وإنما يقوم بها الإمام الموجود الذي يعرفه المسلمون عمومًا علماءهم

(١) صيلم: داهية ومفارقة.

(٢) رواه أحمد ح (٥٠٨٨).

(٣) منهاج السنة (١/ ١١٥).

وعوامهم، شبابهم وشيبيهم، رجالهم ونسأؤهم، والذي له قدرة على إنفاذ مقاصد الإمامة،... فمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر الذي له القدرة والسلطان على سياسة الناس، فدعا جماعة للسمع والطاعة له، أو أعطته تلك الجماعة بيعة تسمع وتطيع له بموجبها،.... وولي الأمر قائم ظاهر: فقد حادَّ الله ورسوله، وخالف مقتضى الشريعة، وخرج عن الجماعة.

فلا تجب طاعته، بل تحرم،... ومن آزره أو ناصره بمال أو كلمة أو أقل من ذلك، فقد أعان على هدم الإسلام وتقتيل أهله وسعى في الأرض فسادًا، والله لا يحب المفسدين»^(١).

٢٠- ترك الدعاء لولاية الأمر:

الدعاء للسلطان مما يتميز به السني عن غيره:

قال البغدادي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: مَتَى مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَجْزِنِي، وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ فَصَلَّحَ الْإِمَامُ صَالِحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ»^(٢).

وكان الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول عن إمامه: «وَإِنِّي لَأَدْعُو لَهُ بِالتَّسْهِيدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالتَّائِيْدِ وَأَرَى لَهُ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيَّ»^(٣).

(١) معاملة الحكام ص (٤٠).

(٢) حلية الأولياء (٨/٩١).

(٣) السنة للخلال (١٤).

ويقول: «مَا يَأْتِي عَلَيَّ يَوْمٌ إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ لَهُ»^(١).

وقال الطرطوشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن تبذل له نصحتها، وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد»^(٢).

ولذلك قال البربهاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله. فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين»^(٣).

وعلى هذا دأب الصالحون رحمهم الله تعالى:

قال عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو ظفرت بيت المال لأخذت من حلاله وصنعت منه طيب الطعام، ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأبرار والأخيار، فإذا فرغوا قلت لهم: تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا»^(٤).

وقال سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ: «دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَلَيَّ الْأَمِيرِ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، فَدَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ، فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ^(٥)، فَغَضِبَ، وَقَالَ: إِنِّي أُرَاكَ تَكَرَّهُ طَعَامَنَا.

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٩٢).

(٢) سراج الملوك ص (١٥١).

(٣) شرح السنة ص (١١٦).

(٤) سراج الملوك ص (١١٦).

(٥) أي اعتذر له عن الأكل لعله ومرض.

قَالَ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَوَاللَّهِ لَخِيَارُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أبنَائِنَا^(١).

فالذي يريد الإصلاح لا يدعو على الإمام، وإنما يدعو له؛ ليكثر توفيقه، ويتشتر عدله في الناس.

قال ابن الأزرَق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قَالَ النَّوَوِيُّ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَسْتَحَبُّ أَنْ يَكْثُرَ فِيهَا مِنَ الدُّعَاءِ لِمَهْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ شِعَارُ الصَّالِحِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الْعَارِفِينَ أَنْتَهَى. وَلَا خَفَاءَ أَنْ الدُّعَاءَ لَهُ بِالصَّلَاحِ مِنْ أَهْمِ الْمُهْمَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَصَلَاحِهِمْ بِصَلَاحِهِ»^(٢).

وقال العثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لأن الذي لا يدعو للسلطان فيه بدعة من بدعة قبيحة، وهي: الخوارج - الخروج على الأئمة - ولو كنت ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لدعوت للسلطان؛ لأن السلطان إذا صلح صلحت الرعية، أما بعض الناس إذا رأى من سلطانه انحرافاً وقيل: ادع الله أن يهديه، قال: لا لا، هذا لن يهديه الله، ولكن أدعو الله أن يهلكه إذا! كيف لا يهديه الله، أليس الله هدى بعض أئمة الكفر؟! هداهم، ثم إذا قُدِّرَ أن الله أهلكه كما تحب أنت الآن من الذي يتولى بعده؟ من البديل؟ الآن الشعوب العربية التي قامت على الثورة أسأل أهل البلدان: أيها أحسن: عندما كانت البلاد ملكية أو لما كانت ثورية؟ سيقولون بلسان واحد بآن واحد قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم: عندما كانت ملكية أحسن بألف مرة، وهذا شيء واضح»^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (٦/١٢٢).

(٢) بدائع السلك ص (٤٣).

(٣) لقاء الباب المفتوح رقم (١٦٩) صوتي.

٢١- لا يَفُونَ بعهد، ولا يشكرون نعمة:

فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَاهُ عَنِ الْحَرُورِيَّةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْحَرُورِيَّةُ الَّذِينَ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ»، وَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ»^(١).

وأما عدم شكرهم لمن أنعم عليهم وأحسن إليهم:

فتقدم في قصة طعن عبدالرحمن بن ملجم لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَحَمَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَيْتِهِ ثُمَّ قَالَ: عَلِيٌّ بِالرَّجُلِ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا حَمَلْتُكَ عَلَيَّ هَذَا؟ قَالَ: شَحَذْتَهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَسَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَرَّ خَلْقِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَرَاكَ إِلَّا مَقْتُولًا بِهِ، وَلَا أَرَاكَ إِلَّا مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ»^(٢).

وقال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ:

«وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَفَا عَنْهُمْ عَلِيُّ يَوْمَ النَّهْرَوَانَ وَقَدْ عُوِفِي جِرْحَاهُمْ وَثَابَتَ إِلَيْهِمْ قُوَاهُمْ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَقْتَلُ عَلِيِّ تَرَحَّمُوا عَلَيَّ قَاتِلِهِ ابْنَ مُلْجَمٍ، وَجَعَلُوا يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَيَّ قَتْلِ عَلِيِّ»^(٣).

وقال شاعرهم ابن مَيَّاسِ الْمُرَادِيِّ - قبحه الله - متفاخرا بقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَنَحْنُ ضَرْبُنَا يَا لَكَ الْخَيْرُ حَيْدَرًا... أَبَا حَسَنِ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرَا

(١) رواه البخاري ح (٤٧٢٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٤-١٤٥).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٥٤).

وَنَحْنُ خَلَعْنَا مُلْكَهُ مِنْ نِظَامِهِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ إِذْ عَلَا وَتَجَبَّرَا
 وَامْتَدَحَ الْخَارِجِيُّ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ الشَّقِيَّ ابْنَ مُلْجَمٍ قَاتِلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:
 يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
 إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا^(١)
 ٢٢- السعي للخلافة والتلقب بأمر المؤمنين:

قال وهب ابن منبه رَضِيَ اللَّهُ فِي وَصْفِ الْخَوَارِجِ: «وَإِذْ لِقَامَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَوْ
 عَشْرِينَ رَجُلًا لَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ
 مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ يُقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَشْهَدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْكَفْرِ
 حَتَّى يَصْبِحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ وَدِينِهِ وَدَمِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ لَا يَدْرِي أَيْنَ
 يَسْلُكُ أَوْ مَعَ مَنْ يَكُونُ»^(٢).

وهذا أمر ظاهر في رؤوسهم الذين لهم أتباع، «فَشَيْبُ بْنُ يَزِيدَ الْخَارِجِيُّ
 كَانَ يَدْعِي الْخِلَافَةَ، وَيَسْمَى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا قَهَرَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِي الْحَجَّاجِ،
 لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَعَسَاكِرَ لِقَاتِلِهِ، فَهَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَمَّا
 أَلْقَاهُ جَوَادُهُ عَلَى الْجِسْرِ فِي نَهْرِ دُجَيْلٍ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَعْرَقَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟»^(٣).

٢٣- لا يتصدقون ولا يستغضرون إلا لمن يرى رأيهم:

جاء في مناقحة وهب ابن منبه أنه قال للمتأثر بمذهب الخوارج: «أخبرني

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٨-١٩).

(٢) مناقحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج ص (٢١).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٧٦).

يا ذا خولان، ماذا يقولون لك؟ فتكلم عند ذلك ذو خولان، وقال لوهب: إنهم يأمروني أن لا أتصدق إلا على من يرى رأيهم، ولا أستغفر إلا له»^(١).

وهذا لأنهم يكفرون من ليس على رأيهم، فلا يُحلون التصديق عليه، ولا الاستغفار له لكفره عندهم، وهذا مذهب الخوارج قاطبة، ومن يقول منهم غير ذلك فإنما يقوله تقية.

وهذا في زماننا مشاهد من حال الجماعات الحزبية المتأثرة بالخوارج، فلا يدفعون الصدقات إلا بعد تصنيف المدفوع إليه، وأنه على طريقتهم، أو ممن يميل إليهم، ويرجى كسبه.

٢٤- الشجاعة والحدة والتهور:

فعن مسلم بن أبي بكره، وسأله هل سمعت في الخوارج من شيء؟ فقال: سمعت والدي أبا بكره، يقول: عن نبي الله ﷺ: «ألا إنه سيخرج من أمتي أقوام أشداء أحماء، ذلقة ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوزون تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم»^(٢)، ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم، فالمأجور قاتلهم»^(٣).

وهذا أمر مشاهد ظاهر في الخوارج، وتاريخهم مليء بالشورات والفتن والحروب العظيمة.

قال ابن كثير رحمته الله في وصفهم: «وهم جند مستقلون، وفيهم شجاعة وثبات

(١) مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج ص (١٨).

(٢) أي: اقتلوهم.

(٣) رواه أحمد ح (٢٠٤٦٦).

وَصَبْرٌ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ مُتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَهُمْ قَوْمٌ لَا يُضْطَلُّ لِهِمْ بِنَارٍ، وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ بِثَأْرٍ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ»^(١).

٢٥- اللغظ على الخطباء يوم الجمعة برفع الأصوات، وهيشات الأسواق

في المساجد:

فَعَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْطُبُ فَقَطَعُوا عَلَيْهِ خُطْبَتَهُ، وَتَرَامَوْهُ بِالْبَطْحَاءِ، حَتَّى مَا أَبْصَرَ أَيْدِي السَّمَاءِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: هَذَا صَوْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ تَقُولُ: «أَلَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ، قَدْ بَرَى مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَرَبَ، وَتَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]»^(٢).

وقال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاسْتَمَرَ عُثْمَانُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كُلِّهَا، وَهُمْ أَحْقَرُ فِي عَيْنِهِ مِنَ التُّرَابِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْجُمُعَاتِ وَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَفِي يَدِهِ الْعَصَا الَّتِي كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي خُطْبَتِهِ، وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مِنْ بَعْدِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ فَسَبَّهُ وَنَالَ مِنْهُ، وَأَنْزَلَهُ عَنِ الْمِنْبَرِ، فَطَمَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ يَوْمِئِذٍ»^(٣).

وعن عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن علياً خرج ذات يوم يخطب، فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد^(٤)، فَقَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ

(١) البداية والنهاية (١٠/٥٨٢).

(٢) اللطائف من دقائق المعارف (١٣٩).

(٣) البداية والنهاية (١٠/٢٨١).

(٤) أي رفعوا أصواتهم بقولهم: لا حكم إلا لله.

أكبر! كلمة حق يراد بها باطل! إن سكتوا غممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين اذهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله يا علي، أباقتل تخوفنا! أما والله إنني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أننا أولى بها صلياً، ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة^(١).

وقال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَنَعَرَ ضُوا لِعَلِّي فِي حُطْبِهِ وَأَسْمَعُوهُ السَّبَّ وَالشَّتْمَ وَالتَّعْرِيفَ بِآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا قَامَ حُطْبِيًّا فِي بَعْضِ الْجُمُعِ فَذَكَرَ أَمْرَ الْخَوَارِجِ فَذَمَّهُ وَعَابَهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ كُلُّ يَقُولُ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. وَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَهُوَ وَاضِعٌ أُصْبَعُهُ فِي أُذُنَيْهِ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]»^(٢).

وهذا أمر مشاهد من الخوارج في كل العصور، وفي زماننا لا تكاد تثور ثائرة خارجية في بلد، ويقوم الخطباء الناصحون بالتحذير من الفتن، وبيان السنة في التعامل مع السلطان، إلا وتضج المساجد بالهتافات الغاضبة، والصرخات المنكرة، وتسمع للناس حيصة، وهذا عجب من الأمر، وبرهان على بعد القوم عن الدين، وذلك أن هؤلاء يزعمون نصره الدين، وإنكار المنكر، وقد أمر النبي ﷺ بالإنصات للجمعة، وعد الإنكار باللسان لغوا يُذهب أجر الجمعة، وقال:

(١) تاريخ الطبري (٥/٧٣).

(٢) البداية والنهاية (١٠/٥٧٨).

«لِيلِنِي مِنْكُمْ، أَوْ لَوْ الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ»^(١).

قال النووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَيِ اخْتِلَاطِهَا وَالْمُنَازَعَةَ وَالْخُصُومَاتُ وَارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ وَاللَّعْطُ وَالْفِتْنُ الَّتِي فِيهَا»^(٢).

فكيف لمريد الحق أن يأتي الباطل في المساجد، ويخالف الهدى الواضح من السنة؟!!

فمن يريد نصره الدين لا يخالفه، ولكنه منهج أعوج، وطريق أهوج، وإلباس الفتن لباس الدين، والاعتزاز بانتحال المبطلين.

هذه أهم الصفات التي تتجدد مع الخوارج، وقد يشاركونهم فيها غيرهم، فالبدع يجرب بعضها بعضاً، وقد يتميز الخوارج في زمان ما بعلامة أو راية معينة، كلبس السواد، والرايات السود، ولكن هذه ليست بصفات لازمة، فهم قوم تتجاري بهم الأهواء، ويتلاعب بهم الشيطان، ويتلونون في الدين، وإنما الشأن في مفارقة الجماعة، والطعن على الأئمة، والخروج على الأمة، وتكفير المخالف، وإثارة الفتن، فهذه صفات لازمة، وقد مضت صفات تتعلق بأولهم، مثل ذكر «ذو الشدية» الذي قتله علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النهروان، وكان علامة على إصابته الحق، ومثل: «سيماهم التحليق».

قال ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَهَذِهِ السِّيْمَا سِيْمَا أَوْلِهِمْ كَمَا كَانَ ذُو الشَّدِيَةِ؛ لَا أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لَأَزِمٌ لَهُمْ»^(٣).

(١) رواه مسلم ح (٤٣٢).

(٢) شرح مسلم (٤/١٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٩٧/٢٨).

وأشد وصف جاء في الخوارج؛ أنهم كلاب النار.

فَعَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْخَوَارِجُ هُمُ كِلَابُ النَّارِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، أَنَّهُ رَأَى رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ: «كِلَابُ النَّارِ كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثًا، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ. خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قُلْتُ لِأَبِي أَمَامَةَ أَسَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سِتًّا أَوْ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمْ»^(٢).

وقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج^(٣)، وبين عظم أجر من يقتلهم، وتوعدهم إن هو أدركهم ليقتلنهم قتل استئصال، لا يذر منهم أحدا.

فَعَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيُخْرَجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

(١) رواه أحمد ح (١٩١٣٠).

(٢) رواه أحمد ح (٢٢٢٠٨).

(٣) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْأَخْبَارُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَرُقِ تَفْيِئِ الْقَطْعِ عِنْدَ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ». البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٤) رواه البخاري ح (٦٩٣٠).

وقال عليّ رضي الله عنه: «لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَا تَكُلُوا عَنِ الْعَمَلِ»^(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدريّ «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا قَتَلْتَهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٢).

قال النووي رحمه الله: «أَيُّ قِتْلًا عَامًّا مُسْتَأْصِلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى قِتَالِهِمْ»^(٣).

وقد أجمع العلماء رحمهم الله على وجوب قتالهم^(٤)، وقال عاصم بن شميخ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ وَيَدَاهُ هَكَذَا يَعْنِي تَرْتَعِشَانِ مِنَ الْكِبَرِ: «لَقِتَالِ الْخَوَارِجِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِتَالِ عُدَّتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ»^(٥).

قال ابن حجر رحمه الله: «قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ قِتَالَ الْخَوَارِجِ أَوْلَى مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ فِي قِتَالِهِمْ حِفْظَ رَأْسِ مَالِ الْإِسْلَامِ، وَفِي قِتَالِ أَهْلِ الشُّرْكِ طَلَبُ الرَّبْحِ، وَحِفْظُ رَأْسِ الْمَالِ أَوْلَى»^(٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وَهُوَ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّ مَعَهُمْ دِينًا فَاسِدًا لَا يَصْلُحُ بِهِ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ»^(٧).

(١) رواه مسلم ح (١٠٦٦).

(٢) رواه البخاري ح (٣٣٤٤) ومسلم ح (٢٤١٥).

(٣) شرح مسلم (٧/١٦٢).

(٤) انظر شرح مسلم للنووي (٧/١٧٥).

(٥) رواه ابن أبي شيبة ح (٣٧٨٨٦).

(٦) فتح الباري (١٢/٣٠١).

(٧) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٩١).

فأسأل الله ﷻ أن يقي المسلمين شرور الأهواء المضلة، والمذاهب المنحرفة، ويبصرهم بدينهم، ويفقههم في سنة نبيهم، ويتمم عليهم النعم، ويحفظ بلدانهم من البلاء والنقم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- مقدمة ٥
- من هم الخوارج؟ ٧
- فرق الخوارج وألقابهم ومسمياتهم: ٩
- بداية نبته الخوارج: ١٢
- تجدد الخوارج: ١٧
- تواتر الأحاديث في ذم الخوارج: ١٨
- ١- أنهم يخرجون عند الفتن: ١٨
- ٢- أنهم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام: ٢٠
- ٣- الجهل وسوء الفهم والابتعاد عن العلم وأهله: ٢١
- ٤- الإعجاب بالنفس والاعتزاز بالعمل: ٢٤
- ٥- الغلو والتعمق في العبادة، والتشدد في غير موضع الشدة: ٢٨
- ٦- مُعارضَةُ السنة بعقولهم، ومحاكمتها إلى فهمهم وردّها والطعنُ فيها: ... ٣٢
- ٧- الجرأة على أئمة المسلمين، والطعن عليهم، وإظهار عيوبهم: ٣٤
- ٨- الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم وقتالهم: ٤٣
- ٩- مفارقة المسلمين في الدار جسدياً، أو معنوياً إذا لم يتمكنوا بأجسادهم: .. ٤٣
- ١٠- الجرأة على التكفير واستحلال الدماء: ٤٨

- ١١- سوء الظن: ٥٧
- ١٢- السرية والتكتم في الدعوة وغيرها، والبعد عن أنظار ولاية الأمر: ٥٨
- ١٣- الأخذ بالمتشابه من الأدلة، وترك المحكم، وكثرة الخصومة والجدل: .. ٥٩
- ١٤- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان: ٦٢
- ١٥- الغلظة والشدة والجفاء: ٦٣
- ١٦- أنهم أهل دنيا: ٦٣
- ١٧- الطعن في العلماء وصرف الشباب عن مجالسهم: ٦٦
- ١٨- الغدر والإفساد: ٦٧
- ١٩- الخروج عن بيعة الإمام القائم وعدم اعتقاد صحتها ومبايعة رجل منهم: ٦٩
- ٢٠- ترك الدعاء لولاية الأمر: ٧٢
- ٢١- لا يفون بعهد، ولا يشكرون نعمة: ٧٥
- ٢٣- لا يتصدقون ولا يستغفرون إلا لمن يرى رأيهم: ٧٦
- ٢٤- الشجاعة والحدة والتهور: ٧٧
- ٢٥- اللغظ على الخطباء يوم الجمعة برفع الأصوات، وهيشات الأسواق في المساجد: ٧٨
- فهرس الموضوعات ٨٥

